

كتاب

رد معاني الآيات المتشابهات الى معاني الآيات المحكمات

تأليف

الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر الامام المجتهد

العارف بالله سيدي محي الدين

ابن العربي الطائي الحاتمي

الاندلسي

القائل

ولكل عصر واحد يزهو به وانا لباقي العصر ذاك الواحد.

حقوق اعادة طبعة محفوظة لنادي الكتب العربية

لصاحبها

يوسف سوي

✽ كتاب ✽

رد معاني الآيات المتشابهات الى معاني الآيات المحكمات

✽ تأليف ✽

الشيخ الاكبر والكبيرت الاحمر الامام المجتهد  
العارف بالله محيي الدين ابو عبد الله محمد  
ابن علي بن محمد بن العربي الطائي  
الحاتمي الاندلسي

✽ القائل ✽

ولكل عصر واحد يزهبه وأنا لباقي العصر ذاك الواحد

حقوق اعادة طبعه محفوظة لنادي الكتب العربية ومطبعته  
مطبعة الاستقامة في بيروت لصاحبينا يوسف سنو  
طبع سنة ١٣٢٨

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اما بعد حمد الله الواحد بذاته وصفاته المنزه في احديته \* عن مشابهة مخلوقاته \* وصلواته على محمد عبده ورسوله الموضح بسنته متشابه آياته \* الباقي مدده لاويلائه بعد مماته \* كما كان لهم في حياته وعلى آله وصحبه الذين كان احدهم اذا زاره في قبره سلم عليه ورفع يديه كما كان يرفعها عند افتتاح صلاته وسلم تسليماً كثيراً (فانك) سألني ارشدني الله واياك عن امر عظيم في هذا الزمان خطبه وعم ضرره وهو ما تظاهر به بعض المبتدعة المنتسبين الى الحديث والفقه واشاعه في العامة والخاصة من اعتقاد ظواهر الآيات المتشابهة في اسمائه تعالى وصفاته من غير تعرض لصرفها عما يوم التشبيه والتجسيم ويزعم انه في ذلك متمسك بالكتاب وماش في طريقة السلف الصالح ويشنع على من تعرض الى شيء منها بتأويل او صرفه عن ظاهره بدليل وينسبه في ذلك الى مخالفة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين لكونهم ما نقل عنهم التعرض لشيء من ذلك وقد ضلّ واخل كثيراً وما يضل به الا من هو قاصر الفهم ضعيف النور (وحيث) سألني عن ذلك ورغبت في املاء شيء عليك فلا بد من الاجابة على سبيل النصيحة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولائمة المسلمين وعامتهم رضي الله عنهم اجمعين (فاعلم) امدني الله واياك بمدد توفيقه ان من اجل منج الله تعالى على عبده طهارة قلبه وسلامة فطرته وقلة منطقته فانه بذلك يلقي الحكمة ويسمع هواتف الحق في كل نفس من انفاسه وبضياء له في ليل المتشابهه مصباح المحكم فيرسم قدم صدقه في معرفة ربه سبحانه ويحيي بلده الطيب بغيث الهدى والعلم فيخرج نباته باذن ربه كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربهوا يسلك بنحل افكاره سبل الاستقامة فيخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس (وقد) كان للصحابة رضوان الله عليهم من هذا المشرب اصفاه واعذبه ومن العلم بالكتاب والسنة ازكاه واطيبه وكيف لا يكونون كذلك وقد تليت عليهم

آيات الله وفيهم رسوله ولهم بالاعتصام بالله ما ضمنت لهم به الهداية والاستقامة ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم يعلمون الناسخ والمنسوخ بالمعاصرة واسباب النزول بالوقائع ويفهمون ما اودع في مواقع التركيب واساليب البيان بالطباع يردون ما اختلفوا فيه الى الله والرسول فيعلمه الذين يستنبطونه منهم وهم الراسخون في العلم وأولوا الامر يتدبرون القرآن ويردون المتشابه الى معنى المحكم ويقولون آمنا كل من عند ربنا فلا اختلاف فيه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ولاجل ذلك لم ينقل عنهم اعناء بايضاح آيات الاسماء والصفات ولا اكثروا السؤال عنها لعدم اشكالها بحسب لغتهم ولاتساع مجال افهامهم في معانيها الصحيحة وكان من ادبهم رضي الله عنهم ان لا يثق احدهم بفهمه في استيعاب المراد منها فسكتوا عنها مفوضين الى كل فهم صحيح ما منحه الله تعالى من الاتساع الموافق للغة والآيات المحكمة (كما) في صحيح البخاري وغيره عن ابي جحيفة قال قلت لعلي كرم الله وجهه هل عندكم كتاب قال لا الا كتاب الله او فهماً اعطيه رجل مسلم او ما في هذه الصحيفة وفي بعض الروايات الا ما يعطيه الله عبده فهماً في القرآن (فلا) انقطع بموته صلى الله عليه وسلم عن ظواهر الاسماع مدد روح الوحي وعمت عهود الوقائع بانقراض علماء الصحابة رضي الله عنهم وضعف استنباط المشابه من المحكم بمخالطة النبط وانجم المعنى الواضح بملاسة العجم وحصل التمرج في القلوب فزاغت وحجبت عن هوائف الغيب وكثر الكلام فيما لا يعنى فقل آيتاء الحكمة هنالك ظهرت ارباب البدع واشكل معنى المتشابه فاتبعه من في قلبه زيغ وكاد الامر يلبس لولا ما ايد الله تعالى به هذه الامة من العلماء الوارثين والسلف الصالح فنهضوا المناظرة ارباب البدع وتحطيتهم وحل شبههم ونهوا الناس عن اتباعهم وعن الاصغاء اليهم وعن التعرض بالآراء المتشابهة وحسموا مادة الجدال فيه والسؤال عنه سداً للذريعة واستغناء عنه بالمحكم وامروا بالايمان وبامراره كما جاء من غير تعطيل ولا تشبيه وكان هذا في عصرهم مغنياً لولا ان المبتدعة دونوا بدعهم ونصبا عليها اشراك الشبهة والاهواء المضلة (فوفق) الله سبحانه الراسخين من علماء السنة فدونوا في الرد عليهم الكتب

الكلامية وايدوها بالحجج العقلية والبراهين المقيدة من الكتاب والسنة الى ان  
 اظهر الله الحق عَلَى سنتهم وقع اهل الباطل والزيف وإخفاء نار البدع والاهواء  
 فجزام الله تعالى عن نصيحة هذه الامة افضل الجزاء (ولنشرع) في بيان ما سألته  
 عَلَى سبيل الاجمال ثم عَلَى سبيل التفصيل (فاعلم) هداي الله تعالى واياك لما اختلف  
 فيه من الحق باذنه ان ربنا سبحانه وتعالى مثكم عالم مرید قدیر ليس كمثله شيء  
 وهو السميع البصير احدي فلا ابن ولا تركيب لذاته ازلي فلا كيف ولا ترتيب  
 لصفاته ابدی فلا تناهي لجلاله واكرامه تنزه في سمعه وبصره وادراكه وبطشه  
 عن الجوارح وعزّ في قدرته عن الشريك والمعين وجلّ في ارادته عن الاغراض  
 وتفرّد في كلامه عن الحروف والاصوات وتعالى في استوائه عن التشبيه والكون  
 وتقدس في علوه وفوقيته عن الجهات ينزل سبحانه بلا نقلة ويجيء وبأتي بلا  
 حركة وتراه ابصار المؤمنین بلا ادراك ولا احاطة لا حد لقربه ولا مثل لحبه ولا  
 ثورة لغضبه ولا كيف له في رضاه وضحكه ولا شفعية الا بعبيته ولا تربة الا  
 بظهور قهره واحديته ولا بقاء الا لأهل عنديته نفسه تعالى ذاته اوأم كتابه  
 ووجهه نور توحيده عند اقباله وصورته تعالى مظاهر تعرفاته وظلل غمامه ويده  
 ويدها وايديه اسماء حقائق يبصرف بها في مخلوقاته واعينه وعينه آياته المبصرة  
 القائمة بالحفظ والرعاية للمخصوصين من عباده وقدمه قدم الصدق الذي بشر به  
 المؤمنین وجنبه صحبته وكلاءته للذاكرين من اتباع النبي وهو الأول والآخر  
 فإمام عرض ولا جوهر الا وهو مبدوء بأوليئه مخبوم بأخريته وهو الظاهر بحكمه  
 في محكمه الباطن بعلمه في متشابه آياته وحكمه ظهير بعبيته في باطن وترثته فنبشآت  
 اعداد مصنوعاته وبطن بقدم احديته في اسماء الحوادث فرجعت بجقائق هوياته  
 اليه والله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه لا  
 شريك له في ملكه وهو يوتي الملك من يشاء ولا مثل له في كنهه وله المثل الأعلى  
 تقديس عن النظر في الدنيا والآخرة وجوه يومئذ ناضرة الي ربها ناظرة وتنزه  
 عن الجهات وهو الله في السموات وتعالى عن التشبيه وله الايات المتشابهات يجتني  
 معانيها اهل قربه في رياض جنان ذكره كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا

الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابهاً ولم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون هذا ما فتح الله به علي سبيل الاجمال (فاما) التفصيل فلنقدم عليه مقدمة تكون بمثابة القاعدة والتمهيد له (وهو) انه ليس في الوجود فاعل الا الله تعالى وافعال العباد بجملتها عند اهل السنة والجماعة منسوبة الوجود والاختراع الى الله تعالى بلا شريك ولا معين فهي علي الحقيقة فعله وله بها عليهم الحجة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (ومن) المعلوم ان افعال العباد لا بد فيها من توسط الآلات والجوارح مع انها منسوبة اليه وبذلك يعلم ان لصفاته تعالى في تجلياته لعباده مظهرين مظهر عبادي سفلي منسوب لعباده وهو الصور والجوارح الجسمانية ومظهر حقيقي علوي منسوب اليه وقد جرى عليه اسماء المظاهر المنسوبة لعباده علي سبيل التقريب لافهامهم والتأنيس لقلوبهم ونبه تعالى في كتابه العزيز علي التنبهين وانه منزه عن الجوارح في الحالين (ونبه) علي الاول بقوله تعالى «فانلوهم يعذبهم الله بأيديكم» وذلك يفهم ان كلما يظهر علي ايدي العباد فهو منسوب اليه وفعل له وان جوارحنا مظهر له وواسطة فيه فهو علي الحقيقة الفاعل بجوارحنا مع القطع الضروري لكل عاقل ان جوارح العبد ليست بجوارح ربنا تعالى ولا صفات له (ونبه) علي الثاني بقوله تعالى فيما اخبر به عنه نبيه صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره ولا يزال عبي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها الحديث (وقد) حقق الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله تعالى الم تعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات بعد قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وبقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فترل يد نبيه منزلة يده في المبايعه واخذ الصدقات والرمي في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ذلك كله يفهم من ان العبد اذا صار محموداً صارت افعاله ناشئة عن انوار علوية روحانية من عند ربه سبحانه تكون له بمثابة الجوارح وان الله سبحانه يكون له بواسطتها سمعاً وبصراً وبدأً ورجلاً مع القطع الضروري ان الله تعالى لا يكون جارحة لعبده (ولكن) سر

الامر في تحقيق ذلك ان الله جلت حكمته ضرب لنفسه في دواير ملكه مثلا بالقلب في دائرة بدنه (ومن) المعلوم لكل احد ان المتصرف في دائرة بدنه هو قلبه ونوره شامل لجميع اجزائه وروح الحياة منه شايعة في سائر اقطاره وان الجوارح مظاهر لانوار القلب وتصرفاته فبنوره تبصر العين وتسمع الاذن ويشم الأنف ويدوق اللسان وينطق وتلس الجوارح وتبطنش مع العلم الضروري بان الجوارح صفات للبدن وليست صفات للقلب ولا تعلق لها به ولا ينسب اليه الا نسبة الاتباع والعييد للملك المطاع ثم ان القلب ان غلب عليه التوجه الى عالم الشهادة تصرف في الجوارح فصار يرى بالعين ويسمع بالاذن ويطش باليد وهو مثل لقوله تعالى (فاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) وان غلب علي القلب التوجه الى عالم الغيب استتبع الجوارح فصارت هي مئصرفة به فنصير العين تبصر بالقلب وكذلك باقي الحواس والجوارح وهو مثل لقوله تعالى «كنت سمعته الذي يسمع به» الى اخره فافهمه فانه بديع وسياأتى ان شاء الله في التفصيل ما يؤيده ويزيده وضوحاً وبهذا يتسع لك فهم ما جاء من الجوارح منسوباً الى افعاله تعالى وصفاته فلا يشبهه بعد هذا عليك فلا تفهم من نسبتها اليه تشبهاً ولا تجسماً بل تفهم ان مثل النسبة اليه فيها كمثلية نسبة الجوارح للقلب فان ذاته المقدسة متعالية عن الاتصاف بها لان الجوارح يلزمها الحدوث وذاته واجبة القدم وكما كان واجب القدم استحتم عليه القدم وانما الروح الاصلية الذي هو منشاء عالم الامر هو مصباح روح التوحيد قال تعالى «ينزل الملائكة بالروح من امره علي من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا» وبهذا الروح يتجلي سبحانه لعباده باسمائه وصفاته المحكمة والمتشابهة ومن المعلوم انه قد ثبت قوة التطور في الصور المختلفة للملائكة وهم من رفاق هذه الروح فلان يكون له قوة التجلي باي صورة شاء اولى وتصح نسبة تلك الي الله تعالى لتجليه فيها كما سيأتي تحقيقه في صفة الحجيء والصورة (وهانا ان شاء الله تعالى) اشرع في تفصيل الصفات المتشابهة وليس المقصود ذكر البراهين التي هي مدونة في الكتب الكلامية وانما المقصود رد المشابهة الي الحكم علي القواعد اللغوية وتلويحات وتصريحات من الكتاب والسنة هذا تمام المقدمة ولنشرع في التفصيل

مع بسط بد الفساقه والافتقار عسى ان يهديني ربي سواء السبيل  
 (فصل) من المتشابه ٠ الايات التي يذكر فيها الصورة والاولى تقدمها لانها  
 اسم جامع لباقي الحقايق في غيرها فما صح في ذلك ما رواه البخاري وغيره من حديث  
 الرؤية عن ابي هريرة رضي الله عنه وفيه فيأتيهم ربهم في غير الصورة التي يعزفونها  
 فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا اتى ربنا  
 عرفناه فيأتيهم في الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعم انت ربنا فيتبعونه  
 وقد ثبت ذكر الصورة في حديث ابي سعيد رضي الله عنه زيادة ايضاً وهو  
 من الاحاديث المتشابهة ومرجعها الى الايات والاحاديث المحكمة وكل من له من الله  
 نور له في مرجعها الى المحكم فهم على حسب نوره ونحن ان شاء الله تعالى نذكر  
 مبلغ علمنا وفهمنا فيه ونسأل الله تعالى ان يهدينا لما اختلف فيه من الحق باذنه  
 (فاعل) ان الصور التي ياتي فيها ربنا تعالى يوم القيامة مظهر حقيقة فالحقيقة  
 هي الظلة في قوله تعالى «هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة»  
 فعلم بذلك ان مظاهر تجليه لعباده هي ظلل غمامه وحقايق هذه الظل آياته التي  
 تعرف خلقه فيها بواسطة انبيائه صلى الله عليهم وسلم (وقد) ثبت في الصحيح  
 شخص حقايق آياته كالظلل في مسلم وغيره من حديث ابي امامة رضي الله عنه  
 وحديث النواس بن سميان رضي الله عنه ان القرآن يوم القيمة ياتي تقدمه البقرة  
 وآل عمران كأنهما غمامتان او ظللتان سوداوتان (ومن) المعلوم ان كلامه سبحانه  
 صفته وفضته لا تفارقه فاذا ثبت اتيانها في صور ظلل الغمام ثبت اتيانه تعالى  
 (وفي) مسلم وغيره ان اسيد بن حضير رضي الله عنه قرأ سورة الكهف ليلة فجالت  
 فرسه فاذا مثل الظلة فوق راسه فيها امثال السرج فسأل النبي صلى الله عليه وسلم  
 فقال ان السكينة نزلت للقرآن (وفي رواية) الترمذي مع القرآن (وفي رواية)  
 تلك الملائكة كانت تسمع لك وذلك كله موافق لآية البقرة ونقرة الفرس دليل  
 على انها ظلة محسوسة (وقد ثبت) رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم للظلة وتأويل ابي  
 بكر لها بالاسلام وذلك كله يحقق ان حقايق الظل هي آيات الله تعالى وشرايعه  
 وهي من الروح كما قدمته لك قال تعالى «وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا» الاية



والظلة قسمان ظلة عذاب وظلة رحمة فظلة العذاب كظلة قوم شعيب صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى «فاخذهم عذاب يوم الظلة» وقد ضرب الله تعالى المثل بذلك بالقرآن في قوله «او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق» الآية واما ظلة الرحمة فهي آياته المتفضية للرحمة النازل غيثها على قلوب المؤمنين كما صح في صحيح مسلم والبخاري وغيره قوله صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل ما بعثت به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضاً الحديث فهذا هو مظهر الحقيقة (واما) مظهر الصورة فهو العمل وقد ثبت تشخيص الاعمال بصور شتى كما في حديث البراء رضي الله عنه باسناد صحيح اخرجه اصحاب المسانيد كالامام احمد وغيره ان الميت المؤمن يفسح له مد بصره ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول من انت فيقول عمك الصالح وان الفاجر يمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه متين الريح فيقول من انت فيقول انا عمك الحديث (وقد صح) تمثيل الموت بصورة الكباش وتمثيل المال بالشجاع الأقرع وغيره وتمثيل الملائكة صلى الله عليهم وسلم بالأدميين والسنة مشحونة بنحو ذلك (ومن) المعلوم ان الاعمال اعراض فاذا ثبت ظهورها وتمثلها بصور الجواهر والاجسام مع القطع بانها ليست جسماً ولا جوهراً فان الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم ليسوا باديين فعلى مثل ذلك قس اتيان ربنا سبحانه في صور الاعمال وانه يلزم من اتيانه في صور الاعمال ان يكون تعالى له صورة ولا يلزم من نسبتها وازافتها اليه ان تكون ذاتية له كما قد ثبت نسبة اليدين والرجلين الى جبريل عليه السلام في حديث عمر رضي الله عنه عند مسلم وغيره في قوله طلع عينا رجل شديد بياض الثياب الى قوله فاسند ركبته الحديث (ومن) المعلوم ان الركبتين واليدين التي جاء بها جبريل صلوات الله عليه وسلامه جسمانيات وليست ذاتية له وبهذا يعلم رؤية العباد لربهم تعالى يوم القيامة مختلفة النعيم فكل يراه في صورة عمله على حسب مراقبته واخلاص توجهه اليه وصدقته في اقباله عليه (تنبيه) اذا علمت ان حقيقة الصورة آياته التي تعرف بها الى خلقه فنزل على ذلك ما صح من ان الله تعالى خلق آدم صلى الله عليه وسلم على صورته فان الانسان قد جمع الله تعالى فيه

كل حقايق الكائنات فكان مظهراً لآبته الكبرى الجامعة لجميع حقايق الابات  
التجلية لخلقه بجميع انوار الاسماء والصفات فلذلك قبل تعليم الاسماء وسجدت له  
ملائكة الارض والسماء اي خلقه علي المثالية القابلة لتجلي صورة آبته الكبرى وهي  
التي اريها محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وحققتها روح لا اله الا الله  
(تنبيه) قد جاء في الجامع لأبي عيسى الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم  
قال ان في الجنة سوقاً ما فيها لا بيع ولا شراء الا الصور من الرجال والنساء فإذا  
اراد الرجل صورة دخل فيها

(قال) الترمذي حديث غريب واذا نزلته علي ما قدرناه علمت ان تلك  
الصور حقائق ايات من ايات اسمائه وصفاته تعالى واخلاقه فامن آية منها تخلق  
بها العبد في الدنيا الا وقد تعرف الله تعالى اليه بها فاذا دخل الجنة وراها في  
سوق المعرفة عرفها فدخل فيها فكانت زيادة في معرفته بربه سبحانه وتجليه له  
فيها بنعيم رؤيته

(فان) قلت فما معنى قوله الا الصور من الرجال والنساء وما مناسبة الرجال  
والنساء بصور الصفات والاسماء

(قلت) ما من آية يخلق بها عبد الا وقد اشقها الله تعالى من اسمه الرحمن الرحيم  
الايمانية وانتقلت اليه ارثاً من الاب الايماني او ام ايمانية النبي اولى بالمؤمنين  
من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فلعل هذا معنى قوله من الرجال والنساء  
(فصل) ومنها صفة الوجه وقد جاء ذكره في آيات كثيرة فاذا اردت ان تعلم  
حقيقته ومظهره من الصورة فاعلم ان حقيقته من غمام الشريعة بأثر نور التوحيد  
ومظهره من العمل وجه الاخلاص فأقم وجهك للدين الاية وبدل علي ان وجهه  
تعالى الاخلاص مظهر قوله تعالى «يريدون وجهه» وقوله تعالى «انما نطمعكم لوجه الله»  
وقوله تعالى «الا ابتغاء وجهه به الأعلى» والمراد في ذلك كله الثناء بالاخلاص علي  
اهله تعبيراً بارادة الوجه عن اخلاص النية وتبنيها علي انه مظهر وجهه سبحانه يدل  
علي ان حقيقة الوجه هو بارق نور التوحيد لقوله تعالى «ولا تدع مع الله الهاً آخر  
لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه» اي الانور توحيدوه وهو نور السموات والارض

بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت به الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة وهذا يفهم سر قوله تعالى «فايما تولوا فثم وجه الله» (تنبية) قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الرؤىة فيأتهم بهم في غير الصورة التي يعرفون اي في ظلة آيات العذاب ومظهر الاعمال السيئة فيقولون نعوذ بالله منك اي فيستعينون بالله من تلك الصورة كما كانوا في الدنيا ينكرونها ويستعينون منها قوله فيأتهم في الصورة التي يعرفون اي في مظهر اعمال البر وظلة صفة الرحمة والنبوة التي كانت تحيي قلوبهم بغيث الهدى والعلم فيقولون انت ربنا يعرفونهُ بواسطة تعرفه لهم في الدنيا بتحقيقاً لقوله صلى الله عليه وسلم اهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الاخرة

(فصل) ومنها صفة الرؤىة وقد جاء في غير ما آية وفي احاديث منها في هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم هل تمارون في رؤىة القمر وفي رؤىة الشمس واذا ثبت تجليه تعالى في صورة روح الشريعة لم يبق في رؤيته اشكال وانما عبر بالوجه والقمر عن حقيقة الوجه وهو نور التوحيد واختلاف الروايتين يجوز ان يكون تنبيهاً على اختلاف درجة الرؤيتين في نعيم الرؤىة ويجوز ان يكون باعتبار الرؤىة في البرزخ والاخرة فان البرزخ في وجوده كالليل وآيته القمر والاخرة كالنهار وآيته الشمس قوله ليس دونها سبحانه فيه تربية لاهل المراقبة وذلك لان غالب اهل المراقبة لا يشهدون بقلوبهم عند العبادة المراقبة الاظلل آيات الشريعة ويحجبون بسحابها عن شهود وجه ربهم تعالى وهو نور توحيدهِ فاذا كان يوم القيامة كشف الغطاء واحند البصر فيرون وجه ربهم سبحانه كشمس لا دونها سبحانه الاعمال ولا ظلال غمام الشرايع بل هو اقرب اليهم من اعمالهم ولقد خلقنا الانسان ونطم ما توسوس به نفسه الاية (تنبيه) قد انكر القاضي ابو بكر بن العربي في الاحوذى ثبوت الرؤىة في الموقف وقال ان نعيم الرؤىة لا يكون الا للمؤمنين في الجنة واما ما جاء من الرؤىة في الموقف انما هو على سبيل الامتحان والاختبار والذي نعتقد ثبوت الرؤىة ونعيمها للمؤمنين في الموقف على ما صح في الحديث وذلك صريح في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة)

(تنبيه) لوجه ربنا سبحانه رداءً وله حجب وله سبحات فاما رداؤه سبحانه فقد نبه عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن قيس عن ابيه رضى الله عنهما جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الي ربهم الارداء الكبرياء علي وجهه في جنة عدن فالرداء ههنا والله اعلم هو ما يحجب القلب عن رؤية الرب سبحانه وهو ان يكون في قلبك كبرياء لغيره فاهل الجنة ليس لهم مانع من نعيم الرؤية وشهود نور التوحيد الارداء الكبرياء فمن كبر في قلبه غير الله تعالى من غرفٍ او تحفٍ او حورٍ او مأً كولٍ او مشروبٍ او شيءٍ سواه حجب عن الله تعالى ومن عرف الله صغر عنده كل شيءٍ فارتفع عن بصره رداء الكبرياء لكل شيءٍ فشهد الله في كل شيءٍ وبهذا يظهر لك سر افتتاح الصلاة بالتكبير لان الصلاة حضرة التجلي والمناجاة والمراقبة لانوار سبحات وجهه سبحانه

(اشارة) صحَّ في الحديث الصحيح ان غراس الجنة سبحان الله والحمد لله وفي الحديث اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قيل حلق الذكروني ذلك اشارة الى ان نعيم الرؤية يحصل لارباب القلوب في رياض جنة الاذكار وعند المراقبة وارتفاع رداء الكبرياء عن وجه التوحيد (واما) حجبها فقد ثبت في الصحيح حجابها النور وفي رواية حجابها النار وليس بين الروايين تنافٍ ولك في تاويله سبيلان

(احدهما) ان وجهه سبحانه هو الباقي ذو الجلال والاکرام فله تجلٍ بجلاله في حجاب النار كما تجلٍ سبحانه لموسى صلى الله عليه وسلم حين آتس من جانب الطور ناراً وله تجلٍ باكرامه في حجاب النور كما تجلٍ تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء في قوله صلى الله عليه وسلم رايت نوراً وهذان الحجابان لاهل الخصوص (التاويل) الثاني وهو لارباب العموم يؤخذ مما قررناه انه لا فاعل في الكون غيره ولا هادي ولا مضل سواه يهدي من يشاء ويضل من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فوجه توحيد هو الذي ينعم ويهدي باقباله ويعذب ويضل بأعراضه وله في هدايته النور وهو يته التجلية للقلوب بواسطة شرايع رسله قال تعالى «قد جاكم

من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام» وحجابه في اضلاله النار وهو الاكساب المعنسي للقلوب من وساوس الشيطان المخلوق من النار كلاً بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون كلاً انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قد بين بذلك ان وجه توحيدده هو الهادي باقباله في حجاب نور الاتباع للرسول فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وانه هو المصل باعراضه في حجاب الاتباع لوسواس الشيطان فانه لا تنافي بين قوله حجاب النور وبين قوله حجاب النار وبذلك يفهم سر قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً الى قوله واجعلني نوراً اي اجعلني من جميع الوجوه نوراً دالاً وحجاباً بتنعم بروئي من اراد التنعم بحسن النظر اليك

( تنبيه ) جاء في الصحيح ان الله سبعين حجاباً من نور وذلك لاتنافي بينه وبين قوله حجاب النور لانه جنس يصلح لشمول الافراد وان تعددت والحق ان حجب انواره تعالي لا حصر لها لانه ما من شيء الا وهو حجاب من وجه ربنا وآية من آيات وحدانيته

وفي كل شيء له آية تدل علي انه واحد

وممثل ذلك يفهم قوله تعالي ( الله نور السموات والارض ) الآية وقوله تعالي ( والله المشرق والمغرب فاينا تولوا فثم وجه الله ) وبذلك يعرف ان عدد السبعين ليس للمحصر

( قال ) الازهرية وغيره من علماء اللغة العرب تضع السبع موضع التضعيف وان جاوز السبع واصله قوله تعالي ( مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل ) الآية واصل اعتبار هذا العدد في تضعيف حجه ان الله تعالي صفات ذاتية وهي العلم والحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام فهذه سبع صفات ذاتية يتجلى سبحانه في حجب انوارها بوجه توحيدده فكانت هي مبدأ التضعيف في حجب انواره تعالي ثم لا اعداد التضعيف ثلاث رتب رتبة العشرة ورتبة المئة ورتبة الالف وآيات صفاته في تجلياتها تتضاعف بكل رتبة في دائرة من دواير ملكه فان تضاعفت برتبة العشرة كانت سبعين وان

تضاعفت برتبة المئة كانت سبع مئة وان تضاعفت برتبة الالف كانت نهاية الكثرة وقد نبه صلى الله عليه وسلم على الثلاثة بقوله من هم بجسنة فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الي سبعمئة ضعف الي اضعاف كثيرة ووراء ذلك اسرار يخفيها الله تعالى لمن يشاء من عباده

(تبصرة) واما سبحات وجهه سبحانه فقد ثبت في الصحيح لو كشفه لاحرق سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وقد اولها العلماء رضى الله عنهم بجلاله تعالى وهو تأويل صحيح لكن وجه ربنا ذي الجلال والاكرام له بجلاله سبحات وله باكرامه سبحات واذا اردت ان تجري في التأويل على وفق الاستعمال اللغوي والقواعد التي مهدناها فاعلم ان السبحات جمع سبحة والسبحة في اللغة ما يتطوع به من ذكر وصلاة وتسبيح ونحوها مما لا يحصر افراده وقد ثبت ان انوار الطاعات حجب وجهه سبحانه ونور الذكر شامل لجميعها ومهين على ساير سبحات الاكرام والجلال وقد قال تعالى فاذكروني اذ كرم فذكر الله تعالى لنفسه ولعبده سبحة وجهه شاملة لانواع سبحاته وذكر العبد له نور حجابه فما دام العبد يشهد ذكره لربه فوجهه ربه متجلى عليه في حجابه بسبحة ذكره كما ثبت في الصحيح انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكروني ولا يزال العبد يذكركم الله وذكره له يبعده من شهود نفسه ونسبتها ويقرب به من شهود توحيد ربه حتى ينكشف حجاب ذكره لله تعالى وتجلي له منحة ذكر الله له هناك تحرق سبحة نسب الافعال والاذكار للعبد وتظهر نسبتها للرب كما ثبت في الصحيح ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها

(تنبيه) قوله لاحرق سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه

(اعلم) ان بصره سبحانه لا يتناهي مبصوراته ولا يحجب عن خلقه حجاب وانما ينكشف لك معنى الحديث لمراجعة ما قررتك لك وبقوله صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فنبه بالشرط على ان العبد لا يشهد رؤية الله له حتى يغيب عن صفته ورؤيته ومراقبته لربه فكل

عبادة تصحها المراقبة فهي نور من حجب وجهه ينظر العبد منه الى ربه تعالى وينظر الله منه الى عبده فاذا كشف للعبد فيها حجاب المراقبة شهد رؤيته الله سبحانه له فانتهاه بصره عبارة عن انتهائه بحسب كشف العبد وشهوده لا بحسبه في نفسه فانه لا انتهاه له وخلقه هو صفة العبد ورؤيته واحراقه هو محوه بثبوت صفة الرب ورؤيته للعبد وصفة الرب ورؤيته هي سحجة (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)

(اشارة) اورد محمد بن علي الاصفهاني عن مجنون ليلى في محامه هذا

المعنى يتبين وهما

راي ليلى فاعرض عن سواها محب لا يرى حسناً سواها

لقد ظفرت بداه ونال ملكاً لئن كانت تراه كما يراها

(فنه) علي ان الملك والظفر ليسا في رؤيته هو لها وانما هما في رؤيتها له وقوله كما

يراه فيها تنبيه علي تجلي السحجة وذلك انه رأى ليلى علي وجه الافراد فلم ير معها

غيرها ولهذا قال فاعرض عن سواها حتى عن نفسه ولهذا قال انا ليلى وليلى انا

(فنه) علي ان الملك ان تراه كذلك فلا يراه غيرها وهذا فيما نحن فيه لا يتم الا

بتجلي السحجة المقدسة فانها اذا تجلت احترقت الحادث من صفة العبد وتبقى صفة

الرب تعالى هي المرئية له كما انها هي المرئية لعبده فهناك تظفر بداه وبنال ملك

التصريف بقوله كت سمعه الحديث

(اشارة) بهذا يفهم سر امر الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يقرأ علي

ابن كعب رضي الله عنه لم يكن مع قوله صلى الله عليه وسلم اقرأ كم ابني مع

العلم بان ايما لم يكن احفظ الصحابة للقرآن ولا افصحهم في القراءة ولا افقههم

في احكامه ولكن لعله كان عند قراءة القرآن اصغاهم مراقبة لتلاوة النبي صلى

الله عليه وسلم كذلك الذي يقرأه ويغيب بذلك عن قراءة نفسه حتى كأنه يسمعه

من النبي صلى الله عليه وسلم وما بدل علي ذلك ويوضحه لك ان السورة التي امر

بقراءتها هي لم يكن الذين كفروا وهي مشتملة علي قوله تعالى (حتى تأتيهم البينة رسول

من الله بتلوصحفاً مطهرة فيها كتب قيمة) وكان ابني رضي الله عنه اذا قراها اصغى باذن

قلبه الى روح النبوة يتلو عليه ذلك فاراد الله تعالى ان يحقق له في عالم الشهادة من تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يشهده في عالم الغيب (الطيفة) حكمة استعارة الاحراق لمحوصات الخلق التنبيه على ان حقيقة الخلق تراب وباقى صفات الخلق انما هي نور تجليات الحق بصفاته فلوظهرت صفاته رجع الخلق الى اصله تراباً كما ان النار اي شيء احرقته جعلته رماداً وازالت جميع صفاته (تربية) قد قدّمنا ان قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) تنبيه على ان لوجهه الكريم تجليات تجل بجلاله في حجاب النار وتجل باكرامه في حجاب النور فيحتاج اهل المراقبة الى معرفة قبلة هذا التجلي وميقاته ومشرقه

(فاعلم) يا عبد الله ان قبلة هذا التجلي القلب وميقاته الصلاة ومشرق الجلال سبحان الله ومشرق الاكرام الحمد لله فمن اراد شهود وجه ربه الباقي فليجعل قبلة قلبه وميقاته صلاته ثم له حلال الاول ان ينال على قلبه تنزيهه عما سوى الله تعالى فهذا مشرقه سبحان الله ووجه ربه يتجلى عليه بجلاله في حجاب النار كما تجلي على موسى صلى الله عليه وسلم ولهذا امر الله تعالى اتباعه ان يقتدوا به في ذلك بقوله تعالى «واجعلوا بيوتكم قبلة واقبوا الصلاة» فهذه القبلة والميقات

(ونبه) على تجليه عليه في مشرق سبحان الله في حجاب النار بقوله تعالى (فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) باموسى انه اثنى الله العزيز الحكيم

(والحال الثاني) ان يغلب على قلبه شهود النعم والفضل لله بلا شريك فهذا مشرقه الحمد لله ووجه ربه يتجلى عليه باكرامه في حجاب النور كما تجلي لابراهيم صلى الله عليه وسلم فكانت قلبه اذ جاءه ربه بقلب سليم وكان ميقاته صلاته ومشرقه الحمد لله ان ابراهيم كان امة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً لاء نعمه وكان التجلي بالاكرام في حجاب النور وهي انوار الكواكب والقمر والشمس فقال هذا ربي



(إشارة) إذا اردت ان تعلم ان ربيتهُ بالاكرام فتدبر قوله هل اناك (حديث ضيف ابراهيم المكرمين) فاذا كان ضيفه بسببه مكرماً فما ظنك به فاذا اردت ان تعلم ان منظره كان انور ربه لا للنجوم والكواكب فتدبر قوله تعالى «فنظر نظرة في النجوم» وجعل النجوم ظرفاً للمرءى لالنفس المرءى وكيف لا وقد يرى ملكوت السموات والارض والله نور السموات والارض والله المشرق والمغرب فاينا تولوا فتمَّ وجه الله ومن جمع بين مشرق سبحان الله والحمد لله تجلّى له ربه بكامله الجامع بين التجليين واره آيته الكبرى كما تجلّى لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء (ونبه) عليه قوله سبحانه سبحان الذي اسرى بعبده الى قوله وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً الابية ولما تحقق سبحان الله اولاً وبالحمد لله آخرآ تجلّى له وجه ربه بكامله الجامع للجلال والاكرام في مشرق لا اله الا الله الجامع لسبحان الله والحمد لله آية ربه الكبرى ولهذا قال اخر السورة وكبره تكبيراً وسياتي لذلك بيان في مسألة الاسراء ان شاء الله تعالى

(فصل ٧) ومن المتشابهة صفة النفس في قوله تعالى « تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك » لأن النفس في اللغة تسعمل لمعان كلها تتعذر في الظاهر هاهنا وقد اولها العلماء بتأويلات (منها) ان النفس عبرتها عن الذات والهوية وهذا وان كان سائعاً في اللغة ولكن تعدي الفعل اليها بواسطة في المفيدة للظرفية محال لان الظرفية يلزمها التركيب والتركيب في ذاته محال وقد اولها بعضهم بالغيب اي ولا اعلم ما في غيبك ومرك وهذا حسن لقوله « انك انت علام الغيوب » ولكن لا بد من تخرجه علي ما مهدناه حتى تنتظم اشقات الصفات وذلك ان الصورة اذا كانت ظلة غمام اياته فنفسه هي ام كتابه وهي الايات المحكمات قال تعالى « هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب » والايات المحكمات هي الايات الدالة علي وحدانيته بدليل قوله تعالى في اول هود « كتاب احكمت اياته ثم فصلت » الاية ثم فسر احكامها بالتوحيد في قوله « ألا تعبدوا الا الله » وفسر تفصيلها بالاستغفار والثوبة في قوله « وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه » ونبه تعالى ان آياته المحكمة ترجع اعدادها الي آية واحدة محكمة وهي لا اله الا الله فما من

علم من العلوم في الغيب ولا في الشهادة الا وهو منظم في سلك لا اله الا الله مستثمر من ثمار اسرارها ولهذا اكنفي بعلمها النبي صلى الله عليه وسلم إجمالاً وتفصيلاً في قوله تعالى « فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك »

( تنبيه ) قوله تعالى « تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك » اذا اخرجت علي هذا تطلع علي اسرار بديعة وذلك ان السياق اشتمل علي سؤال عيسى عليه السلام عما بلغه لبني اسرائيل هل امرهم بتوحيد ربهم او بان يعبدوا له ولامه

(ومن المعلوم) انه لم يكن امرهم الا بالتوحيد فلما اراد ان يخبر بذلك تطف في الاخبار به إجمالاً وتفصيلاً أما تفصيلاً فبقوله « ما قلت لهم الا ما امرتني به » الآية واما إجمالاً فبقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك فقوله ولا اعلم ما في نفسي ام كتابك المشتمل علي سر قدرك وان القلم جرى فيه بكفرهم وقوله تعلم ما في نفسي أي في أم كتابي وهو ما كتبه الله له من بينات التوحيد وأبدته به من روح القدس قال تعالى « وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس »

( تبصرة ) شأن المحجوبين عن الله تعالى من أرباب الرياسة موادعة من عبدهم وعبد اقرار بهم لأجلهم وأهل القلوب المؤمنة يبرون من ذلك بمقتضى قوله تعالى « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الى قوله أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأبدم بروح منه »

( ومن المعلوم ) ان عيسى صلى الله عليه وسلم كتب في قلبه الايمان وايد بالروح فلماذا قال تعلم ما في نفسي اي ما كتبه من الايمان في قلبي وايدتني به من الروح وان ذلك ثمرة كوني لم اوادد هؤلاء الذين عبدوني وعبدوا امي من دونك وانت علام الغيوب

( تنبيه ) قوله امرتني به ولم يقل به امرت مع ان الامر بالتوحيد لم يختص به بل امر به جميع الأنبياء ولكنه بذلك علي سر القدر وان الامر أمران أمر حقيقة وامر شريعة فامر الحقيقة هو المشار اليه بقوله ( انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ) وهو متوجه الي جميع الكائنات فما من كفر ولا ايمان الا وهو مأمور به بهذا الاعتبار لانه لا يكون الا بامره

(واما الشريعة) فهو الذي ربط به الثواب والعقاب وقامت به الحجة (لايستل عما يفعل وهم يسئلون) فمن هذا يفهم السر في قوله لعيسى عليه السلام امرتني به خصصه بالاضافة اليه تنبيهاً عليّ امر الشريعة ولم يقل امرت تنبيهاً عليّ امر الحقيقة

(اشارة) لما كان في هذا اشتباهٌ عليّ المحجوبين من المعتزلة وغيرهم الذين يقولون ان كفر العبد منسوبٌ الي اختراعه غير مستندٍ الي ارادة ربه سبحانه والا لما جازله ان يعاقبه عليه لاجرم بين الله تعالى جوابهم عليّ لسان نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم في قوله (ان تعذبهم فانهم عبادك) عل جواز تعذيبه لم بانهم عباده تنبيهاً عليّ ان التعذيب لا يحتاج في جوازه عقلا الي معصية ولا كفرٍ ولهذا لم يقل فانهم عصوك وانما مجرد كونهم عباداً يجوز للمالك ان يفعل بهم ما يشاء حتى وليس عليه حقٌ ومهما قال فالحسن الجميل

(مناجاة) الهي جات عظمتك ان يعصيك عاصٍ او ينسأك ناسٍ ولكن اوجبت روح او امرك في اسرار الكائنات فذكرك الناسي بنسيانه واطاعك العاصي بعصيانه وان من شيء الا يسبح بحمده ان عصي داعي ايمانه فقد اطاع داعي سلطانتك ولكن قامت عليه حجتك فله الحجة البالغة (لايسأل عما يفعل وهم يسئلون)

(اعتبار) قوله (ويحذركم الله نفسه) من هذا اي ويحذركم ام كتابه بدليل قوله اول الآيه (يوم تجد كل نفسٍ ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء) الآيه مع قوله تعالى (ووضع الكتاب قتره المجرمين مشفقين) الآيه مع ما ثبت في صحيح مسلم وغيره من قوله صلى الله عليه وسلم فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراعٌ واحدٌ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها الحديث فهذا تحذيرٌ من ام الكتاب الذي يكون خاتمة العبد عليّ وفق ما سبق له فيه وبهذا يفهم السر في ذكر النفس وام الكتاب متقاربين في اول السورة

(اشارة) في الحديث ان خشية سوء الخاتمة مخصوصٌ باعمال اهل الجنة

واما اهل الاخلاص لاعمال التوحيد فلا يخشي عليهم سوء الخاتمة ولهذا قال ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها فافهم بذلك ان المثقرب مثقربان مثقرب<sup>١</sup> الى الجنة باعمالها ومثقرب الى الله بذكره كما ثبت في الصحيح انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني الى قوله ان تقرب الي ذراعاً تقربت منه باعاً وذلك يفهم ان المثقرب الي الله تعالى لا يمكن ان يبقى بينه وبينه ذراع لان ذلك الذراع ان كان المثقرب به مطلوباً من العبد لم يبق بعده مقدار يقرب الله به اليه وحينئذ<sup>٢</sup> فيستلزم الخلق في وعده وهو محال<sup>٣</sup> وان كان موعوداً به من الله لزم نجز وعده وتحقق القرب للعبد فلا يبقى بعد ولادخول في النار فعمل ان ذلك الذراع مخصوص باهل الثقريب الى الجنة التي لا يلزم ان تقرب ممن تقرب اليها فافهمه فانه بديع

( نعمة ) قوله في الحديث فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي اذا اردت تخرجه علي ما تقدم فعناه ان العبد اذا ذكر الله في سره فذكره له من آيات توحيد المتشابهة فلا يزال يذكر ويشهد ذكر نفسه حتى ينكشف حجابها كما قدمنا وسيأتي في حجب الوجه وسبحانه فهناك يجتري ذكر العبد المخلوق ويتجلي ذكر الله لعبده سبحانه فيصير العبد مذكوراً والعبد ذاكراً وذلك من آيات التوحيد المحكمة وهي ام الكتاب فهذا عبر عنها بالنفس ونسبت اليه سبحانه بقوله ذكرته في نفسي

( قوله ) وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه هذا من آيات الترتي من حال الجمع والفناء الى حال الفرق والبقاء وذلك ان العبد اذا جمعه الله عليه بذكره في نفسه وحده افناه فاذا اراد ان يجعله هادياً بعثه لذكر الله في المساء فذلك ابقاؤه فاذا ذكره الله في ملاء خير منه ومعناه والله اعلم انه يذكره ويثني عليه بالسنن ملائكته واوليائه وامداح انبيائه ورسله ويشهده ان الله هو الذاكِر له من مظهر ذكره فيشتم بذلك نعيماً دائماً ويجي حياة طيبة ويكون له به حظ من المقام المحمود

( فصل<sup>٤</sup> ) ومنها صفة القرب في قوله تعالى ( واذا سألك عبادي عني فاني قريب ) وقوله ( ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ) ونحوه يفهمك ان قوله وان تقرب

الى شبراً تقربت منه ذراعاً ليس علي ظاهره لان قربه سبحانه من العبد بنوره ولا  
تفاوت درجاته وانما البعد صفة العبد وبعده عن الله هو حجاب عن شهود قرب  
الله منه علي حسب نور الايمان والاستجابة وبهذا يكون تقرب العبد الي زبه واما  
تقرب الرب الي العبد فاشارة بنوره لنوره وقد جمع الله ذلك كله في قوله «فليستجيبوا  
لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون»

( تنبيه ) قوله «ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون» يدل علي ان قربه  
سبحانه من عبده قرب حقيقي مع تعاليه عن المكان لانه لو كان القرب يراد به قربه  
بعلمه او قدرته وصفاته لقال ولكن لاتعلمون ونحوه فقوله ولكن لاتبصرون يدل علي  
الحقيقي المدرك بالبصر والبصر لاتعلق لادراكه بالصفات المعنوية وانما يثعلق  
بالحقائق المرئية وكذا قوله «ونحن اقرب اليه من جبل الوريد» يدل علي ذلك  
لان اقل ممن يدل علي الاشتراك في القرب ولا اشتراك بين قرب الصفات  
وقرب جبل الوريد وعلي هذا فالقرب حقيقي روحاني بدليل قوله «فاما ان كان  
من المقربين» اي من الذين يكشف لهم عن نعيم القرب الرباني فروح وريحان  
وجنة نعيم فجعل قربهم ووجدانهم للروح والريحان وقد قرء بضم الراء وفتحها  
وقد تقدم في حقيقة الرؤية ما يكشف عن معنى الادراك للقرب

( تبصرة ) حكمة محي، التفصيل لقربه علي جبل الوريدانه تقدم ذكر الوسواس  
ووسواس النفس من القاء الشيطان ومجراه للاوردة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم  
ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ومجرى الدم هو عروق الاوردة  
ونحوها فنبه بقوله «ونحن اقرب اليه من جبل الوريد» علي انه اقرب اليه من مجرى  
الوسواس وقد قلت في ذلك

تشاغل عنا بوسواسه	وكان قديماً لنا يطلب
محب تناسي عهد الهوى	واصبح في غيرنا يرغب
ونحن نراه ونغلي له	ويحسبنا اننا غيب
ونحن الي العبد من نفسه	ووسواس شيطانه اقرب

( فصل ) ومن الايات المتشابهة آيات السمع والبصر والعين والاعين وقد دل

الكتاب والسنة عليّ انهما قسمان عاديٌّ وحقيقيٌّ فالعاديُّ سمع القلب بالاذن وابصاره بالعين وهو عامٌّ في المؤمن والكافر والحقيقيُّ بصر العين بالقلب وسمع الاذن به وقد نفاه الله تعالى عن الكافر في غير ما اية

(منها) قوله تعالى « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » وفي قوله تعالى « وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون » فاثبت لهم السمع والبصر العاديين ونفي عنهم الحقيقي

(وبهذا) يفهم قوله تعالى (ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً) مع العلم بان الله تعالى يعيدهم بابصارهم العادية كحالهم في الدنيا تحقيقاً لقوله تعالى (كما بدأنا اول خلقٍ نعيده) ولكن الحكم في تلك الدار للابصار الحقيقية الاستفادة من نور صفاته بواسطة استجابة القلب لاياته وتوجهه لنورها الي عالم الغيب وقلب الكافر في الدنيا كان خالياً من نور التوحيد فكان بصره لا يرجع الي قلبه لانه لا مدد له الا من حسه وهو اعمى عن نور ايات التوحيد لاجرم انه يحشر يوم القيامة اعمى كما كان في الدنيا لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم فكذلك اذا قال لم حشرتني اعمى قال كذلك انتك اياتنا ففسيحتها اے لا بصر في هذه الدار الا من نور صفاتي الاستفادة من الاستجابة لاياتي ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور فاذا صح لك ان السمع الحقيقي والبصر الحقيقي عبارة عن سمع القلب وبصره وان الجوارح وهي العين والاذن تحتاج اليه وهو غني عنها امكثك حينئذ ان تفهم اثبات السمع والبصر لله تعالى وكذا بقية الادراك مع استغنائه في ذلك عن الجوارح وتعالیه عنها

(واما) نسبة العين اليه سبحانه فهي اسمٌ لا ياتيه المبصرة فنسب البصر للآيات عليّ سبيل المجاز تحقيقاً لانه المراد بالعين المنسوبة اليه وقال تعالى «قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها» وعليّ هذا ينزل قوله تعالى (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) اية باياتنا تنظر بها الينا وننظر بها اليك ويؤيد ان المراد بالاعين هنا الايات كونه علل بها للصبر لحكم ربه وعلله بايات القرآن صريحاً في قوله تعالى (اننا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً فاصبر لحكم ربك)

( قال تعالى ) في سفينة نوح صلى الله عليه وسلم تجرّيه باعيننا اي بآياتنا  
بدليل قوله تعالى وقال ( اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ) وقال تعالى في  
موسى صلى الله عليه وسلم ولتضع عليّ عيني ابي عليّ حكم آبي النبي اوحيتها الي  
امك ( ان ارضعنيه فاذا خفت عليه فالقيه في البحر ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك  
وجاعلوه من المرسلين ) ويؤيد ان المراد ذلك كونه جعل ظرف صنعته عليّ عينه اذ  
تمشي اخذك فقول هل ادلكم عليّ من يكفله فرجعناك الي امك كي نقرّ عينها ولا  
تحزن وتعلم ان وعد الله حق فمن تأمل ذلك علم صحة ماقلناه وفتح له باب عظيم في  
تفسير كلام الله بعضه ببعض

( فصل ) من صفاته بطشه سبحانه قال تعالى ( ان بطش ربك لشديد انه  
هو بيديّ وبعيد ) ولا تشابه فيه لان الآيه البانية تفسير للاولى ولذلك جاء  
بها عليّ وجه البدل من غير عطف تنبيهاً عليّ ان بطشه عبارة عن تصرفه في بدئه  
واعادته وما من شيء من الكائنات جواهرها واعراضها الا وهي مفقورة الي بدئه  
واعادته فبطشه سبحانه اسم شامل لجميع تصرفاته في مخلوقاته بداءً واعادةً  
( صل ) نسبة الابدئي اليه استعارة لحقايق انوار علوية يظهر عنها تصرفه وبطشه  
بداءً واعادةً وتلك الانوار متفاوتة في روح القرب وعليّ حسب تفاوتها وسعة دوائرها  
تكون رتبة التخصيص لما ظهر عنها الاثر في قوله تعالى في حق آدم صلى الله عليه وسلم  
لما خلقت بيدي كيف يستفاد منه تنوبه به وتشريفه وتكريمه وتخصيصه ولا  
يستفاد ذلك من قوله تعالى ( اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاماً ) وما ذلك  
الا لان حقائق انوار الابدية الخالقة للانعام ليست في روح القلب كحقائق  
اليدين اللتين خلقى بها آدم صلى الله عليه وسلم

( فان ) قلت فما حقيقة اليدين اللتين في خلق آدم صلى الله عليه وسلم قلت الله  
اعلم ما اراد ولكن الذي استثمرته من تدبر كتابه ان اليدين استعارة لنور قدرته  
القائم بصفة فضله وانورها القائم بصفة عدله ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في  
الحديث الصحيح يمين ربي ملاء سخاء لا يفيضها الليل والنهار ارايت ما انفق منذ خلق  
السموات فانه لم يفيض ما في يمينه وعرشه عليّ الماء ويده الاخرى الميزان يرفع

وَمُخْفَض

(فنبه) عَلَيَّ تَوَلَّى الْفَضْلَ بِيَمِينِهِ السَّخَاءُ الْمُنْفَقَةُ وَعَلَيَّ نُورُ الْعَدْلِ بِالْيَدِ الْآخَرَى  
صَاحِبَةُ الْمِيزَانِ

(ونبه) تَعَالَى بِقَوْلِهِ فِي آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا خَلَقْتَ يَدَيْ عَالِي تَخْصِيصَهُ لَهُ  
وَتَكْرِيمَهُ آيَاهُ بَانَ جَمْعُ لَهُ فِي خَلْقِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ بِمَقْتَضَى قَوْلِهِ تَعَالَى (فَإِذَا  
سُوِّبَتْهُ وَفُتِحَتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي) فَتَسْوِيبَتُهُ مِنْ عَدْلِهِ وَفَتْحُ رُوحِهِ مِنْ فَضْلِهِ. قُلْ إِنْ الْفَضْلُ  
يَدُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ

(ومما) يَحْتَقِقُ لَكَ إِنْ الْيَدُ اسْتِعَارَةٌ لِنُورِهِ سَبْجَانُهُ قَوْلُهُ (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ  
لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) فَاسْتِعَارُ الْيَدَيْنِ لِلْقُرْآنِ ثُمَّ نَبَهُ عَلَيَّ أَنَّهُ  
اسْتِعَارُهُمَا لِمَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ مِنْ نُورِ الْفَضْلِ وَنُورِ الْعَدْلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ  
حَمِيدٍ) فَالْحَكِيمُ صَاحِبُ نُورِ الْعَدْلِ وَالْحَمِيدُ صَاحِبُ نُورِ الْفَضْلِ  
(ونبه) يَجْمَعُ الْإِيدِيَّ فِي خَلْقِ الْإِنْعَامِ عَلَيَّ إِنْ الْيَدُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَيْهِ لَيْسَتْ  
جَارِحَةً وَالْأَلَمُ تَزِدُ عَلَيَّ يَدَيْنِ لِأَنَّ أَفْضَلَ الْخَلُوقَاتِ فِي الشَّاهِدِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَهُوَ لَا يَزِيدُ عَلَيَّ يَدَيْنِ

(وفي الحديث) الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَذَلِكَ يَفْهَمُ أَنَّهُ لَهُ يَمِينًا  
سَمَاوِيَّةً نَسَبَتْهَا لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَنَسْبَةِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ  
(تنبيه) فِي الصَّحِيحِ لِلْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثٌ مِنْهَا حَدِيثٌ عَمِيدَةٌ عَنْ  
عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ  
أَحْمَدُ أَنَا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَيَّ أَصْبَعٍ وَالْمَاءِ عَلَيَّ أَصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَيَّ أَصْبَعٍ  
وَالشَّجَرَ عَلَيَّ أَصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَيَّ أَصْبَعٍ وَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
حَتَّى هَدَّتْ نَوَاجِذَهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)  
لَا يَهْ

(قلت) هَذَا الْحَدِيثُ شَدِيدُ الْاشْتِبَاهِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الظَّاهِرِ وَهُوَ مَحْمُولٌ عِنْدَ بَعْضِهِمْ  
بِأَنَّ الْيَهُودَ مُشَبَّهَةٌ وَيَزْعَمُونَ فِيهَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمُ الْفَائِظًا تَدْخُلُ فِي التَّشْبِيهِ لَيْسَ الْقَوْلُ  
بِأَمْنٍ مَذَاهِبِ الْمُسْلِمِينَ



(وبهذا) قال الخطابي وقال انه روى هذا الحديث غير واحد عن عبد الله من طريق عبيدة فلم يذكروا قوله تصديقاً لقول الخبر ولعله ظن وسهواً لان ضحكك صلى الله عليه وسلم يحتتمل انه لتعجبه من كذب اليهود ويحتتمل انه لتعجبه من صدقهم

(وقد روى) البخاري في اثر هذا الحديث عن ابي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوى السموات يمينه ثم يقول انا الملك ابن ملوك الارض قال الخطابي فهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه وهو علي وفق قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) الاية وليس فيه ذكر الاصابع ولا تقسيم الخليقة

(وقد رواه) الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مرّ اليهودي فقال كيف تقول يا ابا القاسم اذا وضع الله السموات عليّ ذه والارضين عليّ ذه والماء عليّ ذه والجبال عليّ ذه وسائر الخلق عليّ ذه واشار محمد بن الصلت بخصمه اولاً ثم بلغ الى الابهام فانزل الله تعالى (وما قدروا الله حق قدره)

(فهذا) يدلّك عليّ ان ذكر الاصابع وايهام التشبيه انما جاء من لفظ اليهودي وزاد في هذه الرواية الاشارة الى اصابع الجارحة وان الله تعالى انزل تشبيه قوله (وما قدروا الله حق قدره) وظاهره انه انزلها للرد عليه وان الله تعالى منزّه عن ذلك وعليّ الجملة فقد جاء ذكر الانامل في حديث آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني الليلة ربي في احسن صورة قال احسبه في المنام قال يا محمد هل تدري فيم يخصم الملاء الاعلا قال قلت لا قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي وفي رواية معاذ فرأيتُه وضع يده بين كتفي فوجدت برد انامله بين ثديي فتعجلى لي كل شيء وعرفت

(وانت) اذا جمعت بين هذه الاحاديث تحققت عدم ارادة الجارحة لانه يستحيل ان تكون كل اصبع من يد واحدة جسمانية تسع السموات والارضين والجبال ونحو ذلك وهي مع هذا العظم تجتمع اناملها بين كتفيه صلى الله عليه وسأ حتى يجد بردها بين ثديه وانما المعول عليه في ذلك ان فخره عليّ مانهنا عليه وهو

ان اليد لحقيقة نور قدرته القائم بالعدل في امسك مخلوقاته وتدبير ملكه وهي من عالم الامر الموصوف بصفة القيومية ويدل على كونها من عالم الامر قوله تعالى ( ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامرہ ) وعلى انها من نور قدرته الموصوف بالقيومية مناسبة الاشفاق وكونها قرب حصول العلم بوضعها بين كنفه صلى الله عليه وسلم حتى علم ما في السموات والارض وعلم كل شيء وهذا العلم هو علم التوحيد الذي هو اصل العلوم كلها وقصه جعل الله تعالى شهوده لاهله مقيداً بحال شهود قيوميته قال تعالى ( شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائماً بالقسط ) فنصب قائماً على الحال والعامل فيه شهد والحال ظرف العامل ولا يصدق كونهم اولي العلم بشهود التوحيد الا في حال شهود قيوميته فاذا اولنا اليد بنور القيومية علمت ان الحديث في معناه جاء موافقاً للقرآن وهو يرجع الى ما ذكرناه في تأويل اليد صاحبة الميزان التي تقدم ذكرها في الحديث ويؤيد كونها صاحبة العدل ان السياق الذي ذكر فيه وما قدروا الله حق قدره الى آخر سياق قيامه تعالى يوم فصل القضاء والعدل

فان قيل فقد سماها باليمين في قوله تعالى ( والسموات مطويات بيمينه ) واليمين هي صاحبة الفضل المنفقة كما تقدم

قلت لا تنافي في ذلك لان كلنا يديه تعالى يمين

تنبيه قوله مطويات بيمينه واشبه شيء ذكره المفسرون في معنى الطي انه بمعنى الاخفاء اي والسموات قد خفيت حقايقها بيمينه في نور تجليها فليس لاهل الموقف منها الا نورها ويؤيده قوله تعالى ( واشرقت الارض بنور ربها ) فلا سمى لاهل الموقف الا حجاب نوره ولا ظل الا ظل عرشه والظي على هذا موافق لمعنى الكشط في قوله ( واذا السماء كشطت ) اي كسفت وخفيت تحت اشعة انوار

يمينه

واما استعارة الانامل والاصابع لها فاعلم ان حقيقة ذلك ترجع الى انه ما من نور من انواره تعالى الا وله حجاب صوري يتعرف الى عبادته بواسطته بدليل قوله تعالى ( الله نور السموات والارض ) الاية فغضب المشكاة والزجاجة والشجرة

أمثلة لحجب انواره الصورية وقد قدمنا عند ذكر الصورة ما يفهم به معنى قوله صلى الله عليه وسلم فاتاني ربي في احسن صورة وان الصورة التي تجلى لنبيه فيها بنور يده العليا هي صاحبة الانامل وهي ظل شريعته السمحة التي هي احسن الشرائع وحقائق صفاتها كلها متنوعة من روح لاله الا الله فيدها العليا هي صاحبة الخير في قوله تعالى (بيدك الخير) وفي قوله تعالى (ولكن منكم امة يدعون الى الخير) واناملها الخمس هي الخمس التي بني الاسلام عليها ومنها انملة الشهادة وبهذا يفهم السر في وضعها بين كتفيه وهو موضع خاتم النبوة وفي اثمارها للعلم بكل شيء لان جميع العلوم فروع بعلم لاله الا الله ويفهم السر في وجوده لبردها بين ثديه وهو صدره لانسراحه للاسلام فهو على نور من ربه وعلى برد الرضى والتسليم للقضاء ولا امتناع في تجعيدها وتشكلها على هيئة الصورة كما بيناه وفي صورة هذه اليد الاسلامية ظهرت يد قيوميته بالسموات والارض

في قوله تعالى (وله اسلم من في السموات والارض) وفيها ظهر سر العهد والمبايعة في قوله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم) وفيها ظهر سر اجازته . وعصمته بقوله تعالى (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه) لان من قال لا اله الا الله عصم دمه وماله

فصل ومنها صفة الكلام والمتشابه منها نسبة الصوت والحرف الى كلام الله

سبحانه وتعالى وقد وردت آيات واحاديث توهم ذلك

فمنها قوله تعالى (حتى يسمع كلام الله والمسموع انما هو الحرف والصوت

ومنها سماع موسى صلى الله عليه وسلم كلام الله وما روي من ان الله تعالى

ينادي بصوت يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة الحسنة

بعشر امثالها لا اقول آلم حرف بل الف حرف ولا م حرف وميم حرف وغير ذلك

من الاحاديث الثابتة وهي مسألة مهمة بعيدة الغور تزلزلت فيها اقدام المشككين

ومذهب اهل الحق ان الله تعالى كلاماً قديماً قائماً بذاته واحداً في حقيقته

مخالفًا لصفة علمه وارادته منزهاً عن الظروف المرتبة والاصوات المحدثثة منزلاً على

نبيه مقروءاً بالالسنة مكتوباً في المصاحف مسموعاً لموسى صلى الله عليه وسلم حقيقة ولمن يريد الله تعالى اسماعه غير مخلوق في الشجرة ولا قائم بالحوادث وموضع البراهين العقلية والسمعية على كل مقام من ذلك الكتب الكلامية والمقصود هاهنا ما وقع من المتشابه في الكتاب والسنة من ايهام نسبة الصوت والحرف الى الله سبحانه ولا بد في ردها للحكم من مراجعة مقدمة هذا الكتاب وهو ان كلام الله سبحانه صفته وصفة القديم قديمة ثم قدس عن الحدوث والحروف في افادة الكلام يلزمها الترتيب وتقدم بعضها على بعض وذلك مستحيل على القديم ولكننا قدمنا ان لصفاته مظهرين وبه يعلم ان لكلامه مظهرين مظهر علوي وروحاني وهو روح القدس وكلمة العلي والحروف والاصوات من لوازم المظهرين وكلامه منزه عنها كتنزه القلب في كلامه عن الحروف اللسانية والاصوات الهوائية وان كانت مظاهر له وبهذا ينضح لك جميع المتشابه وانا افصله لك

فمنه قوله تعالى ( فاجره حتى يسمع كلام الله ) اي بواسطة مظاهره الجسمية وهي اصوات العباد وحرورهم واطلاق كونه سامعاً لكلام الله بذلك مجاز لما قدمناه ان المظاهر الجسمية ليست منسوبة الى الله تعالى لغة ولا شرعاً

ومنه ما يروى عن عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ياتيك الوحي قال احياناً ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشد علي فينفصم عني وقد وعيت عنه قال وحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فاعني ما يقول وهذا يحق لك ان لكلام الله تعالى في الروحانيات مظهرين مظهر جلي يتشكل بالمظاهر الجسمية واصواتها وحرورها ومظهر آخر له حروف واصوات خفي روحاني لان الجرس في اصله هو الصوت الخفي والصلصلة صوت الياض الصلب اذا حرك ويصح نسبة المسموع حينئذ الى الله تعالى بالتأويل الذي ذكرته لك وها هنا سوء الان

احدهما ما السر في مناسبة الصوت المسموع بالصلصلة

الثاني ما وجه اشتداده عليه والجواب عن الاول ان المتنزل هو الروح وهذا الصوت ليس صوت الروح وانما الروح اذا تجلت للروية افادت لمن تجلت عليه الروية

في مظهر يناسب قابليته واستعداده كما قدمناه في اختلاف الروايتين على حسب صور اخلاقهم واعمالهم وكذلك اذا تجلت للاسماع افادت السمع بواسطة مظهر يناسب قابلية السامع

ومن المعلوم ان الانسان قبل نفخ الروح فيه كان اصله من صلصال وهي صورة طين يابس اذا نقر او داخله الريح صل وصوت ففهم بذلك ان الصوت والحرف المسموع عند نزل روح الوحي انما هو حادث متناسب بصفة الانسان ظهر لسراية روح الوحي عليه وانقسامه عن القلب عند تجليه بحجاب الحس فهناك يجد نفسه قد وعي اي جمع له الوحي بكتابة روحانيته في لوح قلبه تحقيقاً لتوابعه تعالى ان علينا جمعه وقرانه

واما الجواب عن الثاني فانما كان ذلك اشد الوحي لان الروح الانساني لها تعلق بالحس وارتباط به ارتباطاً جسمانياً فاذا جاء الوحي بواسطة الملك وهو على مثال الانسان فقد تطور الملك وبرز بالوحي الى الدائرة الانسانية فسهل على الروح تلقيه لمناسبة العالم الحسي واذا جاء الوحي روحاً مجرداً اقتضى تجرد القابل له من علاقة الحس فاشد ثقله كما يشد عليها التجرد من الجسد عند الموت ومن هذا يفهم السر في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة في عقب الوحي حدثيني انه يريد الرجوع الى عالم الحس ليخفف على امته تلقى ما يلقيه اليهم عند التبليغ

ومنه في البخاري والترمذي واللفظ له عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اذا قضى الله في السماء امرأ ضربت الملائكة اجنحتها خضعاناً لقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وهذا يقتضي ان هذا الصوت المسموع صوت اجنحة الملائكة ولكن

في بعض الروايات ما يقتضي نسبه الى الوحي وهو يتخرج على ما قررناه لانه كما ان الوحي سمعه محمد صلى الله عليه وسلم كصلة الجرس باعتبار قابليته فكذلك سمعه الملائكة كجر السلسلة على الصفوان باعتبار قابليتهم لا باعتبار نفسه وفيه تحقيق ان اجنحة الملائكة ليست كأجنحة الطير وانما هي صفات روحانية كما قاله السهيلي وهي قوامي تسترسل بها فيما بأذن الله تعالى لها من التصديقي

ولهذا جاء ذكر الاخچه مثنى وثلاث ورباع وضررها بها استعدادها لقبول ما يلقى عليها من روح الامر واسترسالها في تنفيذه وكأنه من ضرب في الارض اذا سار تنبيه من تشبيه ما يسمع الملائكة عند الوحي بالسنسلة تفهم المناسبة في رؤيا عبد المطلب قبل مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انه خرج من ظهره سلسلة لها طرف بالشرق وطرف بالمغرب وطرف في السماء وطرف بالارض ثم صارت شجرة لها ورق من نور تعلق بها اهل المشرق والمغرب فأوله المعبرون بولد فانظر مناسبة هذه الرؤيا للوحي اما مناسبة السلسلة فقد علمت واما مناسبة مصيرها شجرة فخذ من كلامه سبحانه لموسى صلى الله عليه وسلم وسماعه اياه من الشجرة وحقيقة تلك الشجرة هي الروح المحمدية القائمة بسر لا اله الا الله المرادة بقوله ( توفد من شجرة مباركة زيتونة ) الآية وهي الشجرة في قوله تعالى ( مثل كلمة عيبة كشجرة ) الآية وفي قوله تعالى ( وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين )

فالدهن هو حقيقة الزيت الذي يكاد يضيء ولو لم تمسه النار التي آتتها موسى صلى الله عليه وسلم والصبغ هو حقيقة الصبغة في قوله تعالى ( صبغة الله ومن احسن من الله صبغة )

تنبيه افادة الشجرة لاسماع كلام الله كافادة السنة القراء وكلاهما في ذلك بمثابة القلم في افادة المكتوب والى هذا السر اشار بقوله تعالى ( ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ) وانما ينكشف لك ذلك بعرفة سبب نزول هذه الآية فان سبب نزولها ان اليهود قالوا انا اوتينا للوراة فيها موعظة وتفصيل لكل شيء فلا حاجة الى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ( ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ) الآية اي لو كان كلما في الارض من الاشجار اقلام تفيد من كلام الله تعالى ما افادته شجرة موسى صلى الله عليه وسلم ما نفدت كلمات الله ولا حصل الاستغناء عنها فانظر كيف اشار لشجرة الكلمات الموسوية وجعلها بمثابة القلم في افادة كلمات الربوبية فكما ان يكتب لا يحل بالتالي ولا يكون صفة له ولا يتنقل به عن هو صفته كذلك

الكلام المسموع لا يحل بالالسنّة ولا بالمصاحف ولا بالاقلام ولا يكون صفة  
للقاريء ولا ينقل بالقراءة والكتابة عن موصوفه تبارك وتعالى

فان قيل فما معنى كونه منزلاً قلت قد اجاز المشككون بان الانزال الكتاب  
والعبارة الدالين عليه وفيه نظر لان المعتزلة وصفوه بانه مخلوق ففر اهل السنة من  
ذلك الى وصفه بانه منزل فاذا كان الانزال يرجع الى الكتاب والعبارة الدالين  
عليه فالكتابة والعبارة مخلوقة ايضاً فلا فرق بين وصفها بالخلق او الانزال رددت  
ذلك الى امر تعبدى او توفيقى سماعى والتحقيق ان وصفه بالانزال كوصفه بالنزول  
وانه نزول بروح امره ولذلك انزل القرآن انزالاً للروح المحمدي قال تعالى  
( قد انزل الله اليكم ذكراً رسولاً ) فابدل الرسول من الذكر والمقصود بالعامل  
البدل وذلك نص في انزال الذكر هو انزال الرسول بالذكر وقال تعالى واتبعوا  
النور الذي انزل معه وقال تعالى ( ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء  
من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فانقوت ) فجعل الانزال للملائكة بالروح  
وقس الروح بكلامه وهو قوله ان انذروا انه لا اله الا انا فانقوت ولهذا جاء بان  
المفسرة وسياًتي لذلك مزيد بيان في صفة الانزال ان شاء الله تعالى

فصل ومن المتشابهة صفة القدم فانه ثبت في الصحيح من حديث انس رضي  
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم تقول هل من مزيد  
حتى يضع فيها رب العزة قدمه فنقول قطع قطع وعزتك وهذا ايضاً يرجع الى المحكم  
قال تعالى ( وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم ) وقد مهدينا ان  
الصورة المنسوبة الى الله تعالى هي ظل غمام الشريعة وان وجهه منها هو بارق  
نور التوحيد ومظهره الاخلاص وعلى هذا فالقدم هو نور الايمان ومظهره الصدق  
وهذا هو القدم الذي تستغيث النار من نوره كما جاء في حديث ابي سمية قال  
سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن الورد قال سمعت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يقول الورد الدخول لا يبتى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن  
برداً وسلاماً كما كانت على ابراهيم حتى ان النار ضجيجاً من بردهم  
وفي حديث يعلى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

النار لتنادي جز ياموئن فقد اطفأ نورك لبي اخرجها ابو عبد الله محمد الترمذي الحكيم وذكر القرطبي حديث يعلى عن ابي بكر النجاد تحقيق ما يحقق ان القدم فيما ذكرناه امران

احدها ان نور الايمان يكفر جميع اسباب الكفر والمعاصي وهي اسباب فكما يظني اسبابها في الدنيا فكذلك حقيقته تطفي حقيقتها في الآخرة الثاني نسبته الى رب العزة وهو صاحب العزة ومالكها والعزة ان كان جميعاً لله تعالى بمقتضى قوله تعالى ( فله العزة جميعاً ) لكنه قد نسبها لرسوله وللمؤمنين في قوله تعالى ( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ) فاما من مؤمن الا وهو صاحب العزة فاذا وضع قدمه حق للنار ان تضيح منه وتنزوي وتنظفي نارها بما له من نور العزة

فائدة في الشفا للقاضي عياض رحمه الله تعالى ان من اسمائه صلى الله عليه وسلم قدم الصدق وهو يقضي انه الاصل الجامع لكل نور من انوار صفاته واسمائه تعالى

تنبيه جاء في حديث ابي هريرة رضي الله عنه عند مسلم فاما النار فلا تمتلي حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فنقول قطٍ قطٍ فهناك تمتلي وتنزوي بعضها الى بعض فلا يظلم الله من خلقه احداً وذكر الحديث وهو غير مناف لما ذكرناه ومرجه للحديث الصحيح الذي قدمناه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كنت سمعه الذي يسمع به الى قوله ( ورجله التي يمشي بها ) فانه يقضي تحقق رجل المؤمن بنور التوحيد حتى تكون منسوبة الى الله تعالى وحينئذ فهو موافق لما تقدم في القدم

وقوله فهناك تمتلي اي باهلها من المتكبرين وقوله ( وتنزوي بعضها الى بعض ) فيه حكمتان

احدها انها عندما تضيح بسبب نور العزة من اقدام المؤمنين فيخرجون منها لخلو مواضعهم فلو بقيت كذلك لما كانت مملوءة وهو مناف لقوله تعالى ( لاملأن جهنم ) الاية وايضاً فر بما كان في ذلك تخفيفاً على اهلها فاقنضت الحكمة انها حينئذ تنضم



وتجتمع على اهلها وتمثلي بهم تحقيقاً للوعيد وزيادة في العذاب

الحكمة الثانية انها لو بقيت مواضع المؤمنين خالية من النار لم يتم لهم سرورهم بالامن منها لعلمهم ان الله وعدها انه يملأها فر بما توقعوا الاعادة فكان في ازوائها وانضمامها على اهلها وامتلائها بهم تأمين للمؤمنين كما ذبح الموت بين الفريقين تحقيقاً للغلوط

قوله ( فلا يظلم الله من خلقه احدآ ) اي لا يملأها بغير اهلها تحقيقاً لقوله تعالى ( ما يبدل القول لديّ وما انا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت ونقول هل من مزيد )

تبصرة بهذا القدم يفهم السر في قوله تعالى ( اذ يغشاكم النعاس امنة منه الى قوله وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام ) وفي قول السريتين ( ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدمنا ) فنبه على ان تثبيت الاقدام بالماء المطهر المنزل على القلب يزوح التوحيد بدليل قوله تعالى ( قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين ) فانظر كيف اضيف الروح للقدس وهو الطهارة وجعلها المثبته بالقرآن لاقدام الذين امنوا وبشرى لهم اي بقدوم الصدق بدليل تصريحه به في يونس كما قدمناه

تنبه بهذا القدم الصدق الذي تستغيث النار من نوره يفهم السري في تخصيص ابراهيم ببرد النار وسلامها لايمانه في قوله تعالى ( فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ) الاية وكذلك يفهم الاسر في انس موسى صلى الله عليه وسلم بالنار وقوله تعالى ( فاخلع نعليك ) لانه كان له قدم الصدق الايماني بمقتضى قوله تعالى ( وانا اول المؤمنين )

اشارة قوله تعالى ( اخلع نعليك ) له ظاهر وباطن فاما ظاهره فالحكمة في الامر بخلع النعل الظاهر ان سير الانبياء في الارض كان سير اعتبار واذكار ونظر لما اودع فيها من سر البدأ والاعادة بمقتضى قوله ( قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة ) وكان المراد التعرف لموسى بمر الاعادة وقيام الساعة ولهذا كانت مناجاته في الجانب الغربي لان من اكبر

آيات الساعة طلوع الشمس من مغربها وقيل له في اول مناجاته ( اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية )

ومن المعلوم ان بعثة الخلائق وحشرهم يكون من الارض المقدسة وقد فسر قوله تعالى ( واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب ) اي من صخرة بيت المقدس فمن ها هنا قيل لموسى صلى الله عليه وسلم عند ما سار باهله وبلغ بيت المقدس وكشف له عن سر ما اودع فيه من قيام الساعة اخلع نعليك تنبيهاً على انه انتهى سفرك وبلغ ما كان المراد بك من التعرف ولهذا قيل له ( انك بالواد المقدس ) اي هذا هو الوادي الذي اودع فيه سر قيام الساعة ورجوع الخلائق الى الله تعالى فاخلع نعليك والتى عصاك فان النعل واخذ العصا من توابع السفر وخلع النعل والقاء العصا من اعلام الاقامة قال الشاعر

فالتت عصاها واطمان بها النوى كما قرء عيناً بالاياب المسافر

واما الباطن فان حقيقة النعل ما يكون وقاية لقدم الصدق من عوائق طريق القلب الى الله تعالى وما فيه من وعر وشوك كما نبه عليه قوله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم تعس وانتكس وشيك ولا انتكش فنبه بهذا على ان افتتان القلب بزينة الدنيا يعوق قدم الصدق عن السير الى الله فان عظم في عينيه منها شيء تعس به وان احقره او استهان به كان بمثابة الشوك يدخل في قدم السائر فان انتكش اي اخرج به بمقاس الاستغفار والقاه بالزهد فيه سلم وسارع بقدم صدقه الى الله تعالى وان اهمله كان بمثابة الشوك التي يهملها صاحبها حتى يتمكن ويفسد بها الدم ويحصل المرض والوقوف عن السير وربما تمكنت فكانت سبباً للموت او ورماً للقدم والنعلان يقيان من ذلك وهما الرجاء فيه والخوف منه كموسى صلى الله عليه وسلم لما خرج خائفاً يترقب وقال عند التوجه عسى ربي ان يهديني سواء السبيل علم انه انتعل الخوف والرجاء وركبهما في سيره لان من انتعل قد ركب لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه عنهما في صحيح مسلم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقال اكثرنا من النعال فان الرجل يزال واكباً ما انتعل فلما بلغ حضرة المناجاة والثائيس وحل في وادي النقديس

قيل له اخلع نعليك لان الرجاء والخوف لارباب السلوك لا لمن وصل وخص  
بمجالسة الملوك

ومما يحقق لك ان الرجاء والخوف هما نعل قدم الصدق حديثان  
احدهما رواه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم  
قال لبلال اخبرني بارجا عمل عملته في الاسلام فاني سمعت دق نعليك بين يدي  
في الجنة وذكر الحديث فافهم بقوله اخبرني بارجا عمل ان الرجاء هو نعل قدم  
الصدق ولهذا قال فاني سمعت دق نعليك فاتي بياض والف وهما يفيدان سببية  
الوصف للحكم اي ان سبب سماعه دق نعليه هو رجاءه لله بعمله  
الحديث الثاني ما رواه مسلم عن العباس رضي الله عنه قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم اهون اهل النار عذاباً ابو طالب وان في قدميه لتعلين بطنى منهما  
دماغه وانما خص بالتعلين لانه كان له قدم في تصدق محمد صلى الله عليه وسلم  
ومحبته ونصرته والذب عنه ولكنه كان لا يدين بدينه خوفاً من مسبة العرب  
ولهذا قال لقريش عند الموت في وصيته واوصيكم بمحمد خيراً فانه الامين  
في قريش والصدوق في العرب وقد جاء بأمر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة  
السباب ثم قال في آخر كلامه وان من سلك سبيله رشد ومن اخذ بهديه سعد  
فانظر كيف كان له قدم صدق في محبته صلى الله عليه وسلم وقبول امره ولكنه  
انعل فيه الخوف من الخلق والرجاء لهم فظهرت حقيقته له بعد الموت بتعلين من  
النار

واما الحكمة في كونهما بطنى منهما دماغه فلأن في الصحيح الا اخبركم برأس  
الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله

ومن المعلوم ان ابا طالب كان اشد الناس جهاداً عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ولكنه لم يدين بدينه خشية من السببة فكان خوفه لغير الله تعالى سبباً  
لاحباط جهاده وفساده وهكذا تكون حقيقة خوفه لغير الله تعالى وهي نعله في النار  
سبباً لاذابة دماغه وهولب رأسه واحباطه بالاذابة والافساد

فصل ومن المتشابه الجنب في قوله تعالى ( ان تقول نفس يا حسرتا على

ما فرطت في جنب الله ) وهو ايضاً يخرج علي ما مهدناه وذلك ان الصورة اذا كانت ظلة غمام الشريعة فرأىها كتاب الله وجنبها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومظهرها متابعتة ومتابعة خلفائه الراشدين وعلماء الامة المتقين ومما يدل على ذلك قوله تعالى ( واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم ) مع قوله في اثناء السورة ( الله نزل احسن الحديث ) فعلم انه كتاب الله وكذا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لانه لا ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى فلما مهد الامر بالمتابعة لكتاباه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حذر من اتيان عذابه قبل ذلك ومن قول النفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وذلك كالصريح في ان الجنب هو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلماء الامة المتقين لانهم كانوا يسخرون من الذين امنوا في اتباعهم لرسوله صلى الله عليه وسلم فابذا اردفت حسرتها بقولها وان كنت لمن الساخرين وبقولها لو ان الله هداني لكنت من المتقين فرد الله عليها بقوله ( بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين )

تنبه قد سبق في اثناء السورة قوله تعالى ( فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله ) ثم بين انهم الذين اتقوا بقوله تعالى ( لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار ) ثم بين بقوله تعالى ( وعد الله ) ان ذلك هو الذي وعدهم به في قوله ( زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ) لانهم يكونون في الدرك الاسفل والذين اتقوا في الغرف ولذلك حق لهم ان يتحسروا على ما فرطوا في جنب الله وهو صحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومتابعتة حتى يسعدوا به وبصحته كما سعد به المتقون من اتباعه واهتدوا باتباعه وفي ذلك انه تظهر لهم حقيقة سخريتهم في قوله تعالى ( ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اتوا العلم ماذا قال آنفاً ) الي قوله ( والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم )

تبصرة اذا تقرر لك بهذا ان الجنب جنبان جنب حسي وجنب معنوي حقيقي وكذلك صاحب بالجنب صاحبان صاحب في السفر الحسي وصاحب في السفر

الغيبى القلبي فبذلك فافهم السر في قوله تعالى ( ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين ) الآية وان ترقيت فاعتبر قوله تعالى عن رسوله ( ما ضل صاحبكم وما غوى ) ثم اعتبر قول الرسول صلى الله عليه وسلم في سفره اللهم انت صاحب في السفر والخليفة في الاهل

بيان قد روي ابو عبد الله الحكيم الترمذى بسنده الى عبد الله بن سلام رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم يجلسه الله معه على العرش وذلك يخرج على ما مهدناه لانا بينا ان الصورة التي يتجلى الله تعالى فيها ظلة غمامه وهي انوار آياته وفي تلك الصورة يتجلى على العرش ونبينا صلى الله عليه وسلم يتجلى لامته في ظلة سنته وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يفترقان كما لا تفارق لاله الا الله محمد رسول الله فمن هاهنا صححت المجالسة له مع ربه على عرشه ووضح بهذا حسرة النفوس التي شقيت بمخالفته على تقربها في جنب الله تعالى لانها تشهد هنالك حقيقة معينة ربه له تعالى ومجالسته

اعتبار ذكر ابو عبد الله الترمذي في نوادر الاصول له حديث رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهوال القيامة وفيه ورأيت رجلاً من امتي والنبيون حلق حلق كلما دنا الى حضرة طرد بفجأ غسله من الجنابة فاخذ بيده فاقعده الى جنبي وهو ايضاً يخرج على ما مهدناه لان اتباع السنة تارة يكون فيما يقضي التنزيه وتارة يكون فيما يقضي الحمد وبهما يكمل الميزان كما ثبت في الصحيح الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان فصاحب غسل الجنابة اذا شهد نور المتابعة الحمدية في الغسل حصل له شطر الايمان فلذلك فاز بصحبته للجنب المحمدي ومجالسته

واما صفة الفوقية فقد جاء بهما الكتاب والسنة كقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقوله تعالى ( وهو الظاهر فوق عباده ) وآيات كثيرة واحديث وهو معدود من المتشابه وذلك لان فوق كلمة موضوعة لافادة جهة العلو والله تعالى منزه عن الجهات وانما المراد منها حيث اطلقت في حق ربنا سبحانه افادة العلو الحقيقي وما يدل على عدم اختصاصه بجهة فوق قوله تعالى ( وهو الله في السموات وفي الارض ) وقوله تعالى ( وهو الذي في السماء آله وفي الارض آله ) وقوله

تعالى ( والله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ) وقوله تعالى ( ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ) وقوله تعالى ( ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم ) وآيات كثيرة يطول ذكرها ولو كان في جهة العلو تعارضت هذه الايات واختلفت وهو مناف لقوله تعالى ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ) وفي مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فنفى ثقيدته بجهة فوق وهو لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى والذي يجمع بين الآيات والاحاديث ان تعلم ان العلو له اعتباران اعتبار اضافي واعتبار حقيقي فعلموا المخلوقات بعضها على بعض انما هو علو اضافي لان ما من مخلوق له جهة علو الا وهو مستقل بالنسبة الى مخلوق اخر هو قوقه الا ما يشاء الله وهذا العلو الاضافي قسمان قسم حسي وهو المفهوم بالنسبة الى الجيات المكانية المخصوص بالجواهر المتفرقة الى الحيز وقسم معنوي وهو المفهوم بالنسبة الى درجات الكمال العرفاني لارباب القلوب او الكمال الوهمي لارباب النفوس قال تعالى ( ورفعنا بعضهم فوق بعضهم درجات ) وقال تعالى ( انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلاً ) هذا كله في العلو الاضافي

واما العلو الحقيقي فانما هو لله تعالى وسع كرسية السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم وعلوه هذا محقق قبل الجهات والاما كن مفهوم بدون النسب والاضافات عام في جميع تجلياته على مخلوقاته باسمائه وصفاته وانما يعرفه ويشهده ارباب البصائر والقلوب والتجلي نور توحيده بعلو فوقيته تعالى سجيحة وله حجاب فسبحته صفة القهر وسجابه خلوص العبودية قال تعالى ( وهو القاهر فوق عباده )

تبيه اذا اردت ان تحقق ان فوقيته ليست فوقية مكان وانما هي الفوقية الحقيقية بقهر الربوبية للعبودية فتفكر في انه تعالى كان ولا شيء معه ولم يتجدد له خلقه السموات عاو ولا يخلق له الارض نزول ولا يخلق له العرش استواء وانما عن تجلي اسمائه وصفاته نشأت اعداد مخلوقاته غير مماسة له ولا منتسبة اليه بفوق

ولا تحت ولا شيء من الجهات قال تعالى ( سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى ) فوصفه بالأعلى حال اتصافه بالخلق فدل على ان علوه محقق قبل الخلق وكذا قال ( وما قدروا الله حق قدره ) الآية وصف نفسه آخر الآية بالعلو والتزهر بعد ذكره قبضه للارض وطيه للسماء فدل ان علوه علو حقيقي لا مكاني وتأمل قوله تعالى ( وهو القاهر فوق عباده ) مع قول فرعون عن بني اسرائيل ( سنقتل ابناءهم ونستحي نساءهم وانا فوقهم قاهرون ) فهل يفهم احد ان فرعون ادعى انه فوق بني اسرائيل بالمكان او بالجهة وانما لما ادعى الربوبية بقوله ( انار بكم الاعلى ) كان من لازم دعواه ادعاء الفوقية اللايقة بالربوبية وهي الفوقية الحقيقية بالقهر فلذلك قال وانا فوقهم قاهرون لا جرم كذبه الله تعالى في الامرين فكذبته في قوله تعالى ( انار بكم الاعلى ) بقوله تعالى لموسى صلى الله عليه وسلم ( لا تخف انك انت الاعلى ) وكذبته في قهره بقوله تعالى ( فاتبعهم فرعون يجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واصل فرعون قومه وما هدي )

تنبيه قوله تعالى ( رفيع الدرجات ) يرجع الى العلو والفوقية الحقيقية وليس المراد ان العلو الحقيقي له درجات وتفاوت وانما المراد ان العباد في ترفيعهم الى معرفته وخلوص التحقيق به درجات الاولى درجة الايمان الثانية درجة التقوى الثالثة درجة الاتباع الرابعة درجة العلم

قال الله تعالى ( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ) وقال تعالى ( والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ) وقال تعالى ( وجعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا ) وقال تعالى ( وفوق كل ذي علم عليم )

تنبيه قوله تعالى ( في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ) الآية فسرت بالمساجد وفسرت بالقلوب وكيف ما كان فرفعها بتحققها واشتمالها على ما ذكرناه من الدرجات المذكورة وتمام الآية بحققه

تنبيه لما ادعى فرعون الربوبية واعتقد الجهة لله تعالى قال ( ياها مان ابن لي صرحا لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى آله موسى ) فرد الله تعالى عليه وسخف سوء رأيه بقوله ( وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ) اي عدل

عن سبيل القرب والدنو من آله موسى فإنه تزده عن علو المكان وإنما يقصد إليه بالكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه أين هو من قول موسى صلى الله عليه وسلم ( وعجلت اليك ربي لترضى ) مع أنه لم يبين له صرح في الدنو والقرب إلى صعود السماء ولا جناح وكذلك إبراهيم صلى الله عليه وسلم حيث جاء ربه بقلب سليم ووهب له لسان صدق علي فكان يجيئه إليه ووصوله إليه وعلوهُ بسلامة القلب وصدق اللسان لا بالنسور وبالصعود للمكان وقد ثبت إيواء الله تعالى للمؤمنين في قوله ( واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم ) وفي صحيح البخاري عن أبي واقد الليثي أن ثلاثة حضروا حلقة ذكر فدخل أحدهم الحلقة والثاني جلس خلفهم والثالث ادبر ذاهباً فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله والآخر استجى فاستجى الله منه والآخر اعرض فاعرض الله عنه فنبه صلى الله عليه وسلم على أن الداخل آوى إلى الله فأواه الله مع العلم بأنه ليس الآيواء في الآية والحديث باعتبار مكان وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى نخامة في القبلة فقال ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع أمامه يجب أن يستقبل فيتنخع في وجهه فدل على أنه ليس مخصوصاً بجهة فوق والآل لما كان قبلة المصلي أمامه وبالجملة فالأحاديث الدالة على عموم إحاطة ربنا سبحانه بجميع الجهات وعدم اختصاصه كثيرة والقصد قد حصل بما ذكرناه

فصل قصة الأمراء وإن كانت مشتملة على الترتي بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السموات فليست منافية لما ذكرناه ولا مستلزمة لاثبات الجهة وبدل عليه أمور

منها افتتاح السورة بسبحان الذي المقنض للتنزيه تنبيهاً على تعاليه عن التحيز بالجهات وعلى عدم اختصاصه بجهة

الثاني قوله ( امرئ بعبد ) فإني بآء الاضافة المقيدة للمصاحبة في تعدية الفعل تنبيهاً على مصاحبته له في حالة اسرائه وأنه ليس نائياً ولا بعيداً عنه فيحتاج في قربه إلى قطع مسافة مكانية وتحقيقاً لقوله صلى الله عليه وسلم ( اللهم أنت صاحب



( في السفر )

الثالث قوله بعده تنبيهاً علي انه على حسب التحقق لخضوع العبودية يكون الترتي الى حضرة الربوية

الرابع قوله ليلاً وان كان لفظ الاسراء مفيداً لذلك تنبيهاً علي ان كما تضمنه الاسراء كان خارجاً عن العادة في مثله فانه جعل العلة فيه ان يريه من آياته والاراة العادية سلطانها النهار فقال ليلاً ليعلم ان الروية المتصودة ليست عادية بل هي رؤية ربه بنور رباني سلطانه الليل دون النهار

الخامس قوله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى نبه علي ان الاسراء لو كان لضرورة رؤية ربه لكونه مخصوصاً بجهة العلوم تكن حاجة بالذهاب الى المسجد الاقصى ولا يمكن الترتي من مكة الى السماء فدل علي ان الاسراء والترقي من مكان لمكان لحكمة وراء ما زعم مثبت الجهة والسرفيه وفي كونه

ذكره تعالى في كتابه للتنبية علي ان العبد لا يصل الى الله تعالى الا فرداً تحقيقاً لقوله ( وكلهم آتية يوم القيمة فرداً ) ولا يُتحقق له الفردية الا بعد مفارقة الحوادث وتجرده عنها فهناك يصل الى حضرة عنديته وقد جاء الكتاب العزيز بالتنبيه علي ان حضرة عنديته وراء دوائر السموات والارض ومن عنده فعطف من عنده علي من في السموات والارض والعطف يقتضي المغايرة فدل علي ان حضرة العندية وراء السموات والارض وهي مع ذلك محيطة بالسموات والارض كاحاطة ربها بذلك كله مباينة لها كباينته فمن ارادها فعليه بتفرقه الحوادث ومباينته لها فعلم ان الفرقة فرقة قلبية غيبية وفرقة حسية فان فارقها بقلبه وصل الي الله تعالى بقلبه وان فارقها بجسده تبعاً لقلبه وصل الي الله تعالى بجسده وقلبه ولذلك كان الاسراء مرتين مرة بالروح ومرة بالجسد تنبيهاً علي انه صلى الله عليه وسلم شرع لامته فراق الحوادث مرتين مرة بالروح وهو الاسراء الاول ومرة بالجسد حساً وهو الاسراء الثاني

ومن المعلوم انه لا تحقق لفرقة الحوادث حساً الا بمجاوزة دوائر الافلاك كلها كما ثبت ليلة الاسراء واما ترتيب نقله وترقيه في توجهه ففيه استمرار بديعة

أظهرها واجلاها ان فرض الصلاة كانت ليلة الأسراء والصلاة حضرة القرب  
والمناجاة والمراقبة المثمرة لنعيم الرواية

ومن المعلوم ان التوجه توجيهاً روحاني وحسي فقبله التوجه الروحاني وجه  
الله تعالى ولا اختصاص له بمكان واما التوجه الحسي فله قبلتان بيت المقدس  
والكعبة فبيت المقدس هو قبلة الانبياء والكعبة هي قبلة ابراهيم صلى الله عليه وسلم  
فجاء الأسراء الروحاني اولاً تأسيساً للشريعة في قوله تعالى ( والله المشرق والمغرب  
فاينما تولوا فثم وجه الله ) وجاء الأسراء الحسي مبدؤاً بالتوجه لبيت المقدس ثم الى  
السماء ثم بالرجوع الى الكعبة تأسيساً للشريعة في التوجه الحسي في الصلاة اولاً  
لبيت المقدس ثم للسماء في قوله تعالى ( قد نرى ثقلب وجهك في السماء ) ثم  
بالرجوع الى قبلة مكة في قوله ( فول وجهك شطر المسجد الحرام )

اشارة لما كان توجهه ليلة الأسراء الى مكة بعد خروجه من حضرة القرب  
في التلقى الى حضرة القرب في التبليغ جاء التشريع في التوجه الى الكعبة على وفق  
المناسبة فقال فيه ( ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ) ومن  
هذا يفهم السر في قوله تعالى ( ومن الليل فتهجد به نافلة لك ) الى قوله  
( وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق ) وهذا المخرج للدعوة  
والتبليغ هو المخرج الذي ورثته عنه امته في قوله تعالى ( كنتم خيرامة اخرجت  
للناس ) الآية

ثنيبه قوله تعالى ( ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى ) اياك ان تفهم  
ان ذلك يشعر بتحديد في القرب او تخصيص في جهة وانما هو دنو تجل وكشف لانه  
ذكره في قصة الأسراء بالروح الاترى قوله تعالى بعد ( ما كذب الفواد ما رأي )  
ثم ذكر بعده الأسراء الحسي فقال تعالى ( ولقد رآه نزلة اخرى ) الى قوله ( لقد  
رأى من آيات ربه الكبرى ) فاذا علم انه دنو تجل روحاني وكشف عرفاني فهمت  
سر قوله تعالى ( وهو بالافق الاعلى ) ثم دنا عن الافق الاعلى في نعيم الرواية وفي  
بيان الحق فكان قاب قوسين او ادنى اي قدر قوسين والقوس في اللغة يستعمل  
في الذراع وما يقدر ويقاس به وهو المراد هنا وهو من قوله تعالى في الصحيح

(أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني) الحديث وفيه (فان تقرب الي شبراً تقربت منه ذراعاً وان تقرب الي ذراعاً) تقربت منه باعاً وليس فيهما ذراع حسي محدد وانما المراد تمثيل التقريب لدنو الذاكر من المذكور في مجالس النجوى والذكرى وتحلي سر المعية للقلب وادنى الرتب في ذلك تحقق القلب بسر سبحان الله وسر الحمد لله وكذلك كان صلى الله عليه وسلم ليلة الأسراء واذا اردت التحقيق فخذ من افتتاح سورة الاسراء بسبحان واختمها بقوله (وقل الحمد لله) ثم انه على انقضاء التقدير في دنوه بقوله تعالى (اوداني) وهو التحقيق بالتوحيد في نعم الروببة بالاية الكبرى وهي (لا اله الا الله) ولذلك وصفه بقوله آخر سورة الاسراء (الذي لم يتخذ ولداً) الى قوله (وكبره تكبيراً) تحقيقاً لقوله (وما بينهم وبين النظر الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) كما قد مناه

ايضاح اذا اردت ان تفهم سر التدلي في قوله تعالى (فتدلى) فتأمل مارواه ابو عيسى الترمذي من حديث العنان وفيه ذكر الارضين السبع وان بين كل ارض وارض كما بين السماء والارض ثم قال صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لو دلى احدكم جبلاً لوقع على الله) فنبه صلى الله عليه وسلم على عدم تحيزه في السماء وانه ليس مختصاً بجهة كما نبه على ذلك قوله تعالى (ثم دنا فتدلى) فان الاسراء كان للعلو فر بما يوم المحجوب ان الدنو في قوله دنا زيادة العلو فنبه بقوله فتدلى على ان قربه قاب قوسين كان ثمرة التدلي المشعر بالتنزيل وانه تعالى لا يختص قربه بجهة العلو بل التدلي اليه بالخضوع اقرب تحقيقاً لقوله (واسجد واقرب) وفي الصحيح اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد

تبصرة قوله صلى الله عليه وسلم (لو دلى جبل لوقع على الله) له تأويلان ظاهر وباطن فالظاهر التنبيه على احاطته سبحانه بكل شيء وعلى احاطة حضرته كما قد مناه في الاسراء واما الباطن فالجبل جبلان حادث وقديم فالحدث جبل الوريد وهو الحديث النفساني والنور العقلي فلودلى المتفكر جبل شعاع عقله الى منتهى مخلوقات السفلية لوقع في كل حضرة من حضرات مدركاته على الله لانه اقرب اليه من كل شيء (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن

اقرب اليه من جبل الوريد)

واما الباطن القديم فهو جبل الله المتين وكتابه المين فمن تمسك به شهد  
نزله على اراضي القلوب ووقوع جبل اشعته على الله فيها لان القلب بيت الرب  
(فلا اقسام بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم) الى قوله (ونحن  
اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون)

تبصرة اذا اردت زيادة التبصر بان الآسراء وعروج الملائكة ورفع عيسى  
وادريس صلى الله عليهم وسلم الى السماء لا يدل على ان الله تعالى مخصوص بجهة  
السماء فاعتبر فرض الحج على العباد الى البيت الحرام وامر الله تعالى الناس بالتوجه  
اليه من جميع الجهات وجعل سكانه جيران الله وحجابه وفده وضيافته والحجر  
الاسود يمينه مع ان نسبة البيت وغيره الى الله تعالى سبحانه كاعتبار المسافة بسفراحد  
فعلم ان القصد بالسير الى البيت لا ان السير يقتضي القرب والوصول اليه بالمكان  
وانما الله سبحانه تعبدات وامرار في ضمن مشروعات يقتضيها من عبادته بحكم ظاهر  
وحقيقة الا تراه كيف ناجا موسى صلى الله عليه وسلم بالواد المقدس واسمعه كلامه  
من الشجرة ووصفه بالقرب الى مجلس حضرته ونجواه مع الاتفاق على انه تعالى  
لا يختص بجهة الواد المقدس ولا يحل كلامه وهو صفته بالشجرة وأن موسى صلى  
الله عليه وسلم قرب اليه مع كونه بالارض وسمع نداء ربه من جانب الطور ولم  
يكن ربه بجانب الطور وانما تجلياته مظاهر وحجب روحانية وجسمانية لا يشهداها  
الا من فتق الله رتق قلبه وفتق اصباح ليله ونور مصباح مشكاته بزيت شجرة  
توحيد (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

تشكيل قد يورد على ذلك نحو قوله تعالى (ءآمنتم من في السماء ان يخسف  
بكم الارض فاذا هي تمور) وقوله تعالى ( يدبر الامر من السماء الى الارض ثم  
يعرج اليه) وامثال ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية ابن الله فقالت في السماء  
فقال اعتقها فانها مؤمنة

والجواب انه قد قررنا ان تجلياته تعالى باسمائه وصفاته محيطه بدواير السموات  
والارض وان لها في تصرفها وسائط سفلية منسوبة للعباد وسائط علوية منسوبة

له فاطلق على نفسه تعالى انه في السماء باعتبار المظاهر والوسائط السفلية ( وهو الذي في السماء اله وفي الارض آله ) وقال الله ( لا تتخذوا آلهين اثنين انما هو آله واحد ) فاذا كان المقصود بالسباق تحذير اهل الارض ونفخيم الأمر جاء التعبير بمن في السماء فان مظاهره السماوية هي القائمة بالبصر فان الغيبة المنسوبة اليه كما قررناه

واما تنزيل التدبير وعروجه فهو هروج روحاني وسررحماني وكشف عرفاني وسيأتي له مزيد بيان بعد ذكر مسألة الاستواء

واما تقرير الجارية على ان الله تعالى في السماء ووصفها بانها مؤمنة فالحق ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتمد في ايمانها وتقريرها ظاهر لفظها فان لفظها ليس مفيداً لتوحيد الله تعالى لا على مذهب القائلين بالجهة ولا غيرهم اما عند من لا يثبت الجهة فواضح واما عند مثبت الجهة فلانهم موافقون على انه قد عبدت الملائكة والشمس والكواكب وهي في السماء وعبد عيسى وهو خير الاخيار في السماء وليس في لفظها ما يخرج هؤلاء عن الآلية ولا ما يقتضي وصفها بالايمان واقرب اجتماع في ذلك ان الجارية لشرق لبصرها نور التوحيد في الافاق السماوية تحقيقاً لقوله تعالى ( سنريهم آياتنا في الآفاق ) الاية فلما قال لها اين الله قالت في السماء اي ظهر نور توحيدها في السماء فقال اعتقها فانها مؤمنة ويحقق ذلك كونه لم يقل فانها مسلمة لان الاسلام يتعلق احكامه باللسان والجوارح الظاهرة ولم يكن ظهر منها شيء من ذلك يعتمد عليه وقال انها مؤمنة والايمان من لوازم القلوب فدل على ان اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم في تقريرها كان على امر شهده منها يرجع الى قلبها لا الى لفظها مع احتمال لفظها له فلذلك اقراها عليه والله اعلم

فصل ومن الايات المتشابهة آيات الاستواء والاحاديث الواردة فيه ومرجعها عند المحققين الى الايات المحكمات واول ما ينبغي تقديمه معنى الاستواء لغة واصله استعمال من السواء والسواء في اللغة العدل والوسط وله وجوه في الاستعمال ترجع الى ذلك

منها استوى يعني اقبل نقله الهروي عن الفراء فان العرب يقولون استوى  
الي يخاصمني اي اقبل علي ( الثاني ) بمعنى قصد قاله الهروي ( الثالث )  
بمعنى استولى ( الرابع ) بمعنى استقام ( الخامس ) بمعنى اعتدل ( السادس )  
بمعنى علا قال الشاعر

ولما علونا واستوبنا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر  
قاله الحسن ابن سهل

اذا علم اصل الوضع وتصاريف الاستعمال فنزل على ذلك الاستواء المنسوب  
الى ربه سبحانه وتعالى وقد فسره الهروي بالقصد وفسره ابن عرفة بالاقبال كما  
نقل عن الفراء وفسره بعضهم بالاستيلاء وانكره ابن الاعرابي وقال العرب لا  
تقول استولى الا لمن له مضاد

وفيما قاله نظر لان الاستيلاء من الولي وهو القرب او من الولاية وكلاهما  
لا يعشفر اطلاقه بالمضاد

ونقل الحسن بن سهل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر قوله تعالى  
( ثم استوى الى السماء ) قال علا امره وهذه التفاسير كلها محتملة وهو على وفق  
اللغة والمعاني اللايقة بربنا سبحانه

واما استوي بمعنى استقر ومنه ( قوله تعالى واستوت على الجودي ) وقوله  
تعالى ( لتستوا على ظهوره ) الآية فلا يليق نسبة مثله الى استواء ربنا تعالى على  
العرش مع انا نقول قيد علمت اصل اشتقاق الاستواء ولا مدخل فيه لمعنى  
الاستقرار وانما الحق ان معنى استوى على الدابة جاء على الاصل ويكون معناه  
اعتدل او علا شايها والاستقرار لازم ذلك بحسب خصوصية المحل لان الاستقرار  
مدخلا في معنى اللفظ مطلقاً وحينئذ فلا يصح نسبة مثله اليه تعالى لاستحالته في  
حقه وعدم وضع اللفظ له

وقد ثبت عن الامام مالك رضي الله عنه انه سئل كيف استوى فقال كيف  
غير معقول والاستواء غير مجبول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة  
فقوله كيف غير معقول اي كيف من صفات الحوادث وكما كان من صفات

الحوادث فائباته في صفات الله تعالى بنا في ما يقتضيه العقل فيجزم على نفيه عن الله تعالى وقوله والاسواء غير مجهول اي انه معلوم المعنى عند اهل اللغة والايمان به على الوجه الايتق به تعالى واجب لانه من الايمان بالله تعالى وبكتبه والسؤال عنه بدعة اي حادث لان الصحابة رضى الله عنهم كانوا عالين بمعناه الايتق بحسب اللغة فلم يحتاجوا للسؤال عنه فلما جاء من لم يحيط باوضاع لغتهم ولا له نور كنورهم يهديه لصفات ربهم شرع يسأل عن ذلك فكان سؤاله سبباً لاشتباهه على الناس وزيفهم عن المراد وتعين على العلماء حينئذ ان لا يهملوا البيان قال الله تعالى ( واذا اخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب ليديننه للناس ولا يكتمونه ) ولا بد في ايضاح البيان للزيادة

فنقول قد قررنا ان الاستواء مشتق من السواء واصله العدل وحينئذ الاستواء المنسوب الى ربنا تعالى في كتابه بمعنى اعتدل اية قام بالعدل واصله من قوله تعالى ( شهد الله انه لا اله الا هو ) الى قوله قائماً بالقسط فقيامه بالقسط والعدل هو استوائه ويرجع معناه الى انه اعطى بعدله كل شيء خلقه موزوناً بحكته البالغة في التعرف لخلقته بوحدانيته ولذلك قرنه بقوله ( لا اله الا هو العزيز الحكيم ) والاسواء المذكور في كتابه استواء ان استواء مساوي واستواء عرشي فالاول تعدى بالى قال تعالى ( هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ) وقال ( ثم استوي الى السماء وهي دخان ) ومعناه والله اعلم اعتدل اي قام بقسطه وتسويته الى السماء فسوهن سبع سموات ونبه على ان استواءه هذا هو قيامه بميزان الحكمة وتسويته بقوله اولاً عن الارض ( وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ) وبقوله آخرأ ( ذلك تقدير العزيز العليم ) واما الاستواء العرشي فهو انه تعالى قام بالقسط متعرفاً بوحدانيته في عالين عالم الخلق وعالم الامر وهو عالم التدبير ( الاله الخلق والامر ) فكان استواؤه على العرش للتدبير بعد انتهاء عالم الخلق لقوله تعالى ( الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعدازنه ) وبهذا يفهم سر تعدي الاستواء العرشي بعلى لان التدبير للامر

لا بد فيه من استعلاء واستيلاء

اعتبار اعتبر بعد فهم هذا قوله تعالى في خطابه لنبينا صلى الله عليه وسلم ( يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك ) واعتبر ما اثرته هذه التسوية والتعديل بقوله عنه ليلة الاسراء ( ذو مرة فاستوى وهو بالافق الأعلى ) مع قوله صلى الله عليه وسلم بلغت الى مستوى اسمع فيه صريف الاقلام

ومن المعلوم ان القلم انما يجري بالقدر كما ثبت في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر ما كان وما هو كائن الى الابد وهذا اعتبار يعلم ان الاستواء عبارة عمدا قررناه لك من ان استواءه قيامه بالقسط وتقدير المقادير في عالم خلقه وعالم امره تعالى فصل ومن الاحاديث المشابهة احاديث نزوله سبحانه كل ليلة الى سماء الدنيا وهو لا ينافي ما ذكرناه ولا يستلزم اثبات الجهة ولا اتصافه تعالى بالحركة والنقلة فانها عرض والاعراض يلزمها الحدوث والحدوث على القديم محال على ما هو مقرر في الكتب الكلامية ولسنا له الان وانما القصد تخرج صفة النزول على ما وافق القواعد التي مهدناها في صفاته سبحانه وقد اول بعضهم نزوله بنزول عمله او قدرته ونحوه وهو غير منتج فان عمله وقدرته صفاته فان اريد نزولها نفسها فهو محال لان الصفة قائمة بالموصوف فاذا لم يميز على موصوفها النزول فصفتها اولى وان اريد بنزولها تعلقها بما في السماء فتعلق عمله وقدرته بالموجودات كلها لم يزل ولا يزال فكيف يخص بجزء من الليل او غيره هذا مع القطع بانه تعالى يمسك السموات والارض ان تزولا فن قبضته لا تزال محيطة بالسموات كلها والارضين كلها كيف يحتاج الى النزول اليها ويختص بعلو قدرته وعمله بها بزمان دون غيره وانما الجاري على القواعد والآيات المحكمة قد بينه الله تعالى في كتابه بمثلين مثل فيك ومثل خارج عنك

الاول قوله تعالى ( الله نور السموات والارض ) الآية ومن المعلوم ان النور اذا جعل محيطاً بدوائر شفافة سبعة او ثمانية بعضها محيط ببعض فالاول ما يظهر



اثره في ادائها اليه واوسعها دائرة فيراها اهلها ثم ينفذ شعاعه الى الثانية فيظهر فيه على حسب صفاءه ثم هكذا الى الثالثة ورابعة الى السابعة وكل من كان في دائرة منها يرى النور قد نزل الي دائرته وهو نزول ظهور وتجل لا نزول حركة ونقله فعلى مثل هذا خرج صفة نزوله سبحانه مع تزيينه عن تفاوت نسب دوائر الافلاك اليه وعن بعضها عن بعض وقربه من بعض بل هو اقرب الى كل من نفسه ولا بد لك حينئذ من مراجعة ما تقدم في الاستواء على العرش فتعلم ان صفة النزول من لوازم صفة الاستواء وقد تقدم ان صفة الاستواء هو قيامه في عالم الامر بسر التدبير فنزوله حينئذ هو نزل روح الامر بسر التدبير من حضرة الاستواء وهو العرش الى سائر دوائر الكائنات لحكمة التعرف قال تعالى ( ثم استوى على العرش يدبر الامر من السماء الى الارض ) وقال تعالى ( ينزل الامر بينهن ) ثم بين ان ذلك النزل لحكمة التعرف بقوله تعالى ( لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علماً )

نبيه انما نسب النزول اليه سبحانه لان روح الامر هي مظهر نور التوحيد قال تعالى ( ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان ائذروا انه لا اله الا انا ) وقد بينا ان نور توحيده هو وجهه سبحانه فلماذا جعل في اول امره بمثابة نزوله ومعرفتها بمثابة معرفته تحقيقاً لان من عرف نفسه عرف ربه تبصرة اذا علمت معنى نزوله في العالم الاكبر فاعتبر بذلك استواءه ونزوله في عالم الانسان وهو العالم الاصغر كما سيأتي بيانه

المثل الثاني قوله تعالى ( تبارك الذي بيده الملك ) الى قوله حسير فسلاً تعتقد ان المراد منك ان يرجع بصرك في طباق السماء فان الله يعلم انك لا تدرك ببصرك ذلك لضعفه وشدة البعد وتأمل قوله تعالى ( ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ) اي ان الرحمن خلقك وخلق السموات قال تعالى ( الرحمن علم القرآن خلق الانسان ) الايات فكما خلق السموات خلق فيك امثله لها لا تفاوت بين تلك الامثلة وبينك فارجع بصرك في تلك الامثلة فعلم انه سبحانه ضرب قلبك لنفسه مثلاً وذلك ان قلبك هو صاحب دوائر أطوارك وله تعالى في استوائه

عالمان عالم خلق وهو عالم حرك وعالم امر وهو عالم غيبك فإذا اراد تدبير عالم الحس  
تنزل بروح امره وهو نور البصر

ومن المعلوم عند علماء الشريح ان للروح الباصر سبع طباق تنزل بينها  
ألى ان تصل الى عالم الحس وانت اذا تميزت ذلك حكمت بسببه ان نزوله سبحانه  
منزه عن النقلة والحركة الا ترى ان القلب يدرك بالبصر ويدرك به البصر الشيء  
البعيد حساً في آن واحد من غير نقل ولا خطور في طباقه ينفذ من بعضها  
لبعض ولا مهلة في تنزله ورجوعه اليه ولا تفاوت في نسبه اليها

وقد قال المحققون من اهل النظر ان العين مرآة القلب اي من نظر الى عين  
رجل رأى منها حقيقة قلبه وتحقق الروح الباصر بالقلب اشتبه علي كثير من  
الغلاء فاعتقدوا ان البصر ليس حساً مغايراً للقلب وكذا باقي الحواس بل هي  
بثابة الشبايك والقلب هو المدرك منها لما في عالم الحس وهذا كله يكشف لك سر  
نسبة النزول الى ربنا سبحانه بنزول روح الامر وكونه من اكبر آيات توحيد

تذكرة في الحديث ما من مسلم يسلم علي الا رد الله علي روعي لا رد عليه  
سلامة وقد نهت على الاشكال المتعلق بهذا وجوابه في الامالي والقصد نذكره  
هنا مناسبة لما نحن فيه فان للبعد مع الله خالين حالاً يجمع روحه عليه تحقيقاً  
لتوحيده وتكميلاً لشهوده وحالاً يرد روحه اليه هدايةً لخلقه وتوفيةً لحقه وهذا  
الجمع والرد من الامرار الالهية نبه به النبي صلى الله عليه وسلم على ان حاله في  
مئاته كحاله في حياته ولا يزال بروحه عند الله واذا سلم عليه مسلم او جاءه زائر رد  
الله اليه روحه كما كان يردّها في حياته وفيما ذكرناه من الروح الباصر كشف  
لحقيقة ذلك فإنه من نفس الامر وينجمع فيه الروح الباصر الى القلب مؤدياً اليه  
ما يراه في عالم الحس ثم يرد للعين من غير شعورٍ بنقلةٍ ولا كيفيةٍ ولا زمانٍ فلو  
حلف حالف ان روحه الباصر ما زایل قلبه لم يمضت روافد حالف انه ما زایل عينه  
لم يمضت كذلك لا يلزم من رد روحه اليه لرد سلام المؤمن المسلم عليه ان لا تكون  
باقية عند ربها ولا من بقاها عنده ان لا تكون مردودة الى نبيه والله اعلم  
تبصرة اذا سمعت بنزول ربنا كل ليلة الحديث فلا يكن حظك منه النزول

في عوالم الحس واعتبر بذلك نزوله سبحانه بروح ذكره الى سالم قلبك الا تراه كيف نهيك على هذا بقوله تعالى ( فانقوا الله يا أولي الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكراً ) الاية ثم قال بعده ( الله الذي خلق سبع سموات ) الاية فبدأ بآية نزول ذكره قبل آية نزول امره نبيهاً على الاهتمام بالاول وقال في الاول ( ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ) وقال في الثاني ( اتعلموا ان الله على كل شيء قدير ) وذلك يقتضي ان نزوله بروح الذكر يشرع النور والهداية وان الله يتولى اخراج العبد من ظلمته ولا يكله الى نفسه وان نزوله بروح الامر يشرع الدلالة والتكليف بالعلم ولم يبين بين من دل وبين من نور وبين من حمل وأخرج وبين من حمل وكلف

نبيه اختصاص نزوله بالثلث الاخير من الليل له ظاهر وباطن فاما الظاهر فلأن الليل محل النوم وتوفي الانفس ورفيها الى الله تعالى

وقد ذكر ارباب العلم الطبيعي ان النوم المعتبر في صلاح البدن ثمان ساعات وهي ثلثا الليل فاقترضت حكمة الربوية تخصيص النزول بالثلث الاخر رحمة للعباد وتلطفاً بهم حتى يكونوا قد تيقظوا وتأهبوا لقبول ما ينزل على قلوبهم من بركات نزوله سبحانه واما الباطن فلأن الحجاب هو ليل القلوب وهو ناشئ عن نوم القلب وفي الحديث يعقد الشيطان على قافية رأس احدكم اذا نام ثلاث عقد فاذا قام فذكر الله انحلت عقدة فاذا توشأ انحلت عقدة فاذا صلى انحلت عقدة فاذا نام بليته عقد الشيطان فاذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فذهب ثلث ليله فاذا توشأ انحلت عقدتان فذهب ثلثا ليله ووضوءه استغفاره قال تعالى في قصة نوح ( فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ) فاذا صلى فصلاته في ثلث ليل الحجاب الآخر وهي العقدة الثالثة وهناك يكون نزول روح الذكر عليه فنحل عقده كلها ويكشف له عن حقيقة ان الصلاة صلة بين العبد وبين ربه وعلامة الوصلة كشف ليل الحجاب والتلذذ بروح الخطاب

فصل ومن المتشابهة صفة مجيئه سبحانه وتعالى واتيانه في نحو قوله تعالى

(هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك) الاية وقوله تعالى ( وجاء ربك والملك صفاً صفاً ) هو ايضاً يرجع الى معنى المحكم ولا ينافيه لان من المحكم قوله تعالى ( يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ) فاذا رددت اليه قوله ( وجاء ربك والملك صفاً صفاً ) علمت انه يتجلى بوحدانيته في الروح وان الهجيء للروح ونسب اليه تعالى كما نسب نزول الروح اليه لتجليه فيه وتحقيقه ان الروح هو من عالم الامر وقد قال تعالى ( هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك ) وقد تقدم ذكر اتيانه في ظلل الغمام فلا حاجة لاعادته

تحقيق اعلم ان الروح الاصيل الجامع لحقائق الصفات في عالم الامر من قوله تعالى ( يوم يقوم الروح ) وهو روح القدس المحمدي استواءً ونزولاً ومجيباً واتياناً وهو صاحب التجلي بنور التوحيد في مظاهر السموات والارض وفي ظلل غمام الشرائع وصور الاعمال كما تقدم وهو صاحب الرحم الايمانية والنسب المحمدي بدليل قوله تعالى للرحم الا ترضين ان من وصلك وصلته ومن قطعك يتته مع قوله صلى الله عليه وسلم كل نسب يوم القيمة منقطع الا نسي والى رحمه المتملقة بالعرش تعرج الارواح كل ليلة عند النوم ( الله يتوفى الانفس حين موتها ) الاية فما كان منها طاهراً سجد تحت العرش كما في الحديث فسجوده وصلته لها وبسببها يعرف بدليل قوله تعالى في المتصلين بالمعية المحمدية ( سيام سيف وجوهم من اثر السجود ) وما كان منها غير ظاهر بسبب الترميج الذي حصل له من الشيطان المخلوق من مارج من نار لم يؤذن له لانه قطعها باتباع المدو فيسجد قاصياً فبعده عنها ثمرة قطعها وعدم الاذن له هو قطع الله له

نبيه هذه هي الرحم التي اشتق لها من اسمه الرحمن صاحب الاسماء الحسنى في قوله تعالى ( قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ) فما من اسم حسن للعبد الا وهو مشتق من اسمائه الحسنى واليه مرجع واشتقاقه منها على حسب صلته للرحم الايمانية المحمدية وعلامة صلته بها صدق مودته لاخوانه المؤمنين وقوة الفتنه بهم وانجماعه عليهم وعلامة قطعها لمفارقته لهم واليه اشار قوله تعالى ( ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ) الاية مع قوله

تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) فانظر بسبب التفرق كيف قطع عنهم نسبة المحمدي بقوله تعالى (لست منهم) ونبه على انهم قد قطعوا عن الله تعالى بقوله (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) فتحقق بذلك قوله (ومن قطعك بتة)

اشارة. وصلة الروح المحمدية والرحم الایمانية وسجودها على حسب ما فطرت عليه في الاصل من سر لا اله الا الله ورثته من نورها وارثها من نورها تارة يكون بسبب وهو القيام بحقها وتارة يكون بلا سبب وهو امتزاجها بالروح الایمانية في قوله تعالى (اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدم بروج منه) فمن قام بحق لا اله الا الله فهو احق بها وهو صاحب سبب ومن ايد بروحها فهو صاحب نسب وقد ذكرها الله تعالى في قوله (والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها)

فصل في الحديث كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء اخرجه البخاري من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما وقد كثر ذكر معية الله تعالى لعبده في مواضع من الكتاب والسنة وهو من المتشابه ورجوعه الى المحكم بان يعلم ان الله سبحانه في الموجودات قد ضرب لنفسه مثلا بالواحد في الاعداد

ومن المعلوم ان ما من عدد الا وهو في الحقيقة يرجع الى الواحد فالاثان من شهود الواحد مرة مرة والثلاثة من شهوده مرة مرة مرة وهكذا جميع الاعداد فلو طلبت لعدد من الاعداد حقيقة مجردة عن الواحد لم تجده وبسبب ذلك كانت الاعداد لا تنهاى لان تجليات الواحد لا تنتهى ولولا معية الواحد للواحد ما ثبتت الشفعية ولولا احاطته بالشفعية ما ثبتت الوترية وهو الاول والاخر (ما يكون من نبوي ثلاثة الا هو رابعهم) الاية فمن اشهد الله تعالى آخرة معيته له فقد شفعه فان اشهده مع ذلك اولية معيته فقد اوتره ان الله وتر يحب الوتر ومن اشهده سر وحدانيته في نفسه ررجوع الاعداد اليه فقد وحده ما وحد الواحد الا الواحد وبهذا يفهم السر في قولهم من عرف نفسه عرف ربه

تنبه . اعلم انه تعالى كما انه واحد في ذاته فهو واحد في صفاته وذاته سبحانه

متزهة عن المعية فليست مع شيء ولا معها شيء، ولكنه مع كل شيء بصفاته وكذلك العبد الذي وحده واشهده سر الوجدانية في ذاته بتجلي ذاته المقدسة على سره فقد ظهر لك بهذا ان المعية من احكام الصفات فرب عبد يشهده الله معيته له بصفة وصفين كقوله تعالى ( اني معكما اسمع وارے ) ورب عبد يشهده معيته له مطلقاً كقوله صلى الله عليه وسلم لا يبي بكر رضى الله عنه ( لا تحزن ان الله معنا ) ومعية الصفات عامة لجميع المخلوقات وانما اختصاص الانبياء والاولياء بالشهود والتأييد بالروح منها كما حكى عن احد اصحاب الشيخ ابي النجاشي انه كان يقول قال لي وقتلته ويكثر من ذلك فقيل له من هو الذي يقول لك وتقول له قال الله قالوا الله يقول لك قال نعم ويأخذ بيدي كما قتت وقعدت قالوا لك هذا خاصة قال لابل للناس عامة ولكني انا اشهدوهم لا يشهدون

تبصرة رب عبد يخص بشهود المعية ولا يتعدى ذلك منه الى اتباعه لقول موسى صلى الله عليه وسلم لبني اسرائيل ( ان معي ربي سيهدين ) ورب عبد يتعدى منه نوره الى اتباعه فيشهدون به سر المعية كقول محمد صلى الله عليه وسلم ( ان الله معنا ) ولم يقل معي لانه امد ابا بكر بنوره فشهد سر المعية ومن هاهنا يفهم سر انزال السكينة على ابي بكر رضى الله عنه والام لم يثبت تحت اعباء هذا التجلي والشهود واين معية الربوية في قصة موسى صلى الله عليه وسلم من معية الالهية في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم

تربية اذا اردت شهود نور المعية فعليك بتزكية النفس ( قد افلح من زكاهها ) وفي حديث رواه ابو عبدالله الترمذي بسنده الى عبدالله بن معاوية المغافري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من فعلهن طم طم الايمان من عبادة وحده لا اله الا هو واعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه ولم يعط الهرمة ولا الدوية ولا المريضة ولكن من اوسط اموالكم وزكى نفسه فقال رجل وما تزكية نفسه قال ان يعلم ان الله معه حيثما كان فانظر كيف نبه على ان تزكية النفس ثمر العلم بمعية الله تعالى .

فلن قلت وبماذا ازكى قلت بلزوم الذكر قال الله تعالى ( انا عند ظن عبدي

بي وانا معه حين يذكريني) فعلى حسب الذكري يكون تطهير النفس وتزكيتها (قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) وعلى حسب التزكية يكون شهود المعية

فصل ومن الصفات المتشابهة صفة الحب وقد نسبة الكتاب الى الله تعالى بقوله (يحبهم ويحبونه) وبقوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله) وكذا في السنة في احاديث وقد اختلف علماء الظاهر والباطن في تأويله والمول عليه عندهم انه يرجع الى التعبير بالشيء عن ثمراته فحب العبد لله تعالى محبة ادامته لذكراه واقامته لطاعته وحب الله سوابغ نعمه وجوده عليه وهذا فيه تعطيل لحقيقة الوصف والذي حملهم على ذلك ان الحب في الشاهد عبارة عن ميل القلب وهو مستحيل على الله سبحانه لتعاليه عن الحوادث

والتحقيق ان الحب يرجع حقيقته مطلقاً الى سر روحاني يجمع الله تعالى به المتفرق ويوحد المتعدد وذلك ان الله نور السموات والارض فما من شيء من الكائنات الا في المعية

ومن المعلوم ان المخلوقات مختلفة من حيث الاسماء والصور ومراد الله تعالى منها ائتلافها في الرجوع الى واحد (واليه يرجع الامر كله) وانما تأتلف الصور والاسماء المختلفة من حيث ذلك السر القائم بها من تجلي الواحد وليست كلها متساوية بل هي متفاوتة على حسب قابليتها لتجليه وقد جعل الله تعالى الحب سرّاً يكشف حجاب الاختلاف بالصورة والاسم عما قام بهما من السر المتفق فيأتلف السر مع السر بواسطة التعارف

وفي الحديث الارواح جنود مجنودة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فان حصل الكشف من الجانبين حصل التعارف من الجانبين (يحبهم ويحبونه) وان حصل من احد الجانبين اختص بالحبة ولهذا تجذب بعض الناس يجب من لا يظهر عليه انه يجب لان المحب كشف له عن سر التوحيد المناسب له القائم يجبو به فألفه ولم يكشف لمحبو به عن السر القائم بمحبته وجملة الامر ان لا محبوب في الوجود الا الله ولقد احسن بعضهم في التشبيه على ذلك اجمالاً فقال في محبوبه شعراً  
شيء به يسي القلوب نوره الذي يدعي الجمال ولست اعلم ما هو

وقال بعضهم دو بيت .

البلبل يا صاح يشدو بفنن والورق ننوح با ترى العشق لمن  
والكون جميعه غرام وشجن شاباشك يا من هو للكل فن  
فقد ظهر ان الحب يكشف حجاب الحوادث عن اسرار التوحيد فيجمع متفرقها  
ويتحد عددها ومن توهم انه الميل او الارادة او بعض الاثار الحادثة التي يجدها  
الحب فليس على حقيقة من امره وانما التبس عليه الاعراض المنفصلة عن  
الحب بالحب

واعلم انه لا يطلق على العبد انه يجب الله تعالى الا اذا كشف له عن سر  
التوحيد مجرداً عن الحوادث فاحبه فاما اذا احب السر متوهماً انه احب مظهره  
عن الحوادث فلا وبهذا حصل الالتباس في حقيقة الحب وفي اطلاقه على غير  
الله تعالى وفي صحة الاطلاق عليه

فصل قولنا لا يصدق حب الله الا بالكشف عن سر التوحيد مجرداً عن  
الحوادث مجمل له تفصيل وهو ان كشف تجريده تارة يكون عياناً وتارة يكون  
ايماناً فالعيان كحال ابراهيم صلى الله عليه وسلم حيث توجه في الكواكب ثم في  
القمر ثم في الشمس ثم توجه اليه مجرداً فقال (وجهت وجهي للذي فطر السموات  
والارض) الاية ونبه على تجريد حبه عن الحادث بقوله (لا احب الاقلين) والايمان  
كحال من اخبره الصادق ان السر في هذا المظهر فنشأ له بنور التصديق والايمان  
حبا كشف له عن ذلك السر كسفا ايمانياً ومنه قوله تعالى (قل ان كنتم  
تحبون الله) فنبه على ان سر التوحيد المأذون في محبته له مظهر وهو ظلة غمام شربعته  
واتباعه فيها مستلزم اتصافهم بها وهو بمثابة تعرض المحب للمواطن التي يظهر له فيها  
محبوبه ومن شأن التعرض للمواطن الحبيب ان يراقب وجه محبوبه عند تحليه فيها  
لهذا امر العبد بالمراقبة في قوله صلى الله عليه وسلم (الاحسان ان تعبد الله كأنك  
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)

تبصرة ومن هذا قوله تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين  
يبايعونك انما يبايعون الله) ونحوه من الايات يتضمن الاخبار للعباد ان سر التوحيد



الجامع مظهره محمد صلى الله عليه وسلم من احبه فقد احب الله فمن الاتباع من كشف له تجرد ذلك السر عياناً كحال ابي بكر رضى الله عنه في قوله بعد موته من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ولشهود ذلك السر كان يستجد له الحجر والبعير وتسعى اليه الشجر ومن الاتباع من حجب عن تجرده حتى اخبر به بقوله تعالى ( ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا لله ) الى قوله ( لوجدوا الله )

ويحكى عن بعض الشيوخ انه رآه صلى الله عليه وسلم في نومه فقال اعذرني يا رسول الله فان محبة الله شغلتنى عن محبتك فقال له ويحك يا مبارك من احبني فقد احب الله ومن احب الله فقد احبني

تحقيق قوله تعالى ( ولا يزالى عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احبته ) الحديث فيه اسرار منها التنبية على ان الحب مريجمع المتفرق ويوحده المتعدد كما ذكرناه من كلام المحققين الحبيب انت الا انك غيره ومنها التنبية على ان العبد تارة يكون محباً منقرباً وتارة يكون محبوباً وترجع حقيقة التقسيم الى شهود العبد وحظه من تجلى قوله تعالى ( يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ) فان شهد ما منه الى الله فقد شهد رجوع الامر بسر التوحيد منه الى الله فهو محب وعلامته دوام ذكره وتوجهه بالتقرب والنوافل وغلبة الشوق والقلق والهيام ونحوه وان شهد ما من الله اليه فقد شهد بدء الامر من الله وتنزله بروح التوحيد اليه فهو محبوب وعلامته السكون والاستسلام ودوام المراقبة ومنها التنبية على ان المحبوب قسمان قسم يفنى بمحبوبه وقسم يبقى به فنيه على حال الاول بقوله كنت سمعه ونبه على حال الثاني بقوله الذي يسمع به ونبه بهما على انه لا بقاء الا بعد فناء ومنه قوله تعالى ( وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ) فنيه على الفناء بقوله وما رميت وعلى البقاء بقوله اذ رميت وعلى تحقيق المحب بالحبيب بقوله ولكن الله رمى حقيقة ومن قوله « سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً » الى قوله « انه هو السميع البصير » الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم والسميع البصير هو الحبيب شعر

رأت قمر السماء فاذا كرتني ليالي وصلها بالرقمتين  
كلانا ناظرٌ قمرًا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

وانما يتضح قصد الشاعر بتخرجه على ما نحن فيه وهو ان يشير الى ان قمر السماء من عشاق محبوبته وان محبوبته رآته ذات ليلة فكسته برويتها له نور جمالها ومحاسن صفاتها والقت عليه شهبها واعارته اسمها فاذا كرت هذا العاشق بتلك الليالي التي وصلته بالرقمتين فانها بوصفها له افنته عن صفاته وغلبت عليه بصفاتها حتى صارت معه كالقمر الواحد وكلاهما ينظره ولهذا قال كلانا ناظر قمرًا اي قمرًا واحداً تعدد مظهره لكنها تنظره بعينه وهي عين المحبة لان المحب صار محبوباً وهو ينظر بعينها لانها اعارته عينها فرأها بها فكان البصير لها نفسها

فصل ومن المتشابه لفظة عند وقد جاءت منسوبةً الى الله في الكتاب والسنة كثيراً وهي في اللغة كلمة تستعمل لافادة الملك ولا فادة الحضور ولا اشتباه باستعمالها لله تعالى بافادة الملك وانما الاشتباه بافادتها للحضور واعلم ان حضرة الله سبحانه وتعالى ليست حضرة مكانية لتعاله عز عن المكان كما تقدم بل حضرته وراء حضرات السموات والارض قال تعالى (وله من في السموات ومن في الارض ومن عنده) عطف على من في السموات والارض والعطف يقتضي المغايرة وهي مع كونها وراء السموات والارض فهي معيمنة على حضرات السموات والارض ومحيطه بها فاما من حضرة مكانية الا وحضرة الله تعالى محيطه بها وهو الله في السموات وفي الارض فاذا تقرر ذلك فعندئذ سبحانه متعددة بحسب الاضافة متحدة بحسب الحقيقة فاما تعددها فلا أنه ما من اسم من اسمائه تعالى الا وله في تجليه عندية تخصه يشهدا ارباب القلوب التذكرة وفيها مجالس المناجاة لهم وينلج لهم خلع الرضا منه ومن سلطان ذلك الاسم تتزوج الربوبية لاهله فيها وتواقع الولاية بذكرها واما اتحادها بحسب الحقيقة فعند الله هو موطن استقرار عباده قال تعالى (وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمسقر ومستودع) ومعنى ذلك ان عندية الله ما زالت ولا تزال محيطه بعبده كما قال تعالى (ونحن اقرب اليه منكم) (ونحن اقرب اليه من جبل الوريد) ولكن رب عبد اديم له هذا الشهود فهو لا يزال

مستقراً عند الله في حياها ومماته ومبداء وعوده وان اختلفت عليه الاحوال ومعنى توفي هذا العبد بالموت الى الله توفيه في مراتب التجلي وحقائق الكشف وتعاقب مظاهر العندية على روحه مظهر بعد مظهر ورب عبد شهد في البدء عندية الله تعالى له ثم حجب عنه مكانة من الله تعالى بسبب كثرة تخليطه بظلمة اكتسابه فذلك مستودع قد استودعه الله رسل اسبابه وملائكته الموكلين به فلا يزال محجوباً الى الاجل المقدر له فيرد الى الله تعالى كما قيل

وما المال والاهلون الا وديعة ولا بد يوماً ان ترد الودائع

وترجع حقيقة المراد الى كشف الحجاب وتجلي احاطة الله تعالى به كما قال تعالى ( ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ) الى قوله ( وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ) هنالك تشهد انه لا مستقر الا عند الله تعالى وقد نظمت في ذلك شعراً

قد كنت احسب اني عن فنائكم ناء وان بأرض الله متمسعا  
فلم يزل لطفكم بي تحت حجبكم حتى رفعت حجاب العز فارفعوا  
فلاح اني مقيم ما برحت على الابواب عند او ان اللطف ما انقطعاً

اشارة قوله وهو القاهر فوق عباده تذييه على العباد المخصوصين من اهل العندية والاستقرار وقوله ( ويرسل عليكم حفظة ) خطاب للمحجوبين من المستودعين للحفظة ولهذا قال ( حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ) ثم حذر الكذب بذلك بقوله ( وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نباء مستقر ) ونبه على ان مستقر الانبياء عنده وانه يظهر بزوال حجاب البصيرة بقوله ( فاذا برق البصر وخسف القمر ) الى قوله ( الى ربك يومئذ المستقر نبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر )

تسنيه قوله تعالى ( ما عندكم ينفد وما عند الله باق ) له ظاهر وحقيقة فظاها ان ما عند الله من المال والولدوزينة الدنيا بصدد الزوال والنفاذ وما عنده من الجزاء على تقدير انفاقه باق لا ينفد واما حقيقة تسنيه بكل شيء فله نسبتان نسبة عارضة وهي نسبتها للعبد ونسبة اصلية وهي نسبتها لله تعالى فمعنى كونه عند العبد

هو نسبه وهو باق لا يزول والمراد ان العبد يخرج الاشياء كلها عنه ويمحو نسبتها اليه بذنبتها الي الله تعالى وقد بقيت له ومعنى نسبا الي نفسه وقدرته نفدت قال الله تعالى ( حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ) الآية فعند غم القدرة عليه اخذت وزالت وقال تعالى في ضده ( فاذا خفت عليه فالتقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رآدوه اليك ) فارشدها عند الخوف ان تلقيه من يدها وتخرجه عن حفظها فان الله تعالى يتولاه بحفظه وبقية برحمته .

تربية قوله عند الله الرزق فيه تليطف بعبد في استعدائه للاقبال عليه بالاعراض عن سواه لان العبد محبوب على الافتقار للرزق وايثاره بالطلب فلو جعل الرزق لا يكتسب الا بالاقبال على الاسباب شغله ذلك عن الله تعالى وكان من لطف الله بعبد انه ابتغاء الرزق بالاقبال عليه اقبالا يشهد به العبد قرب الله منه واحاطته به فيكون العبد بذلك في حضرته وعنده ومعنى بلغ العبد الى هذا جاءه الرزق من حيث لا يحتسب الا ترى مريم لما تركت الاسباب اقبلت بلزوم الحراب كان زكرياء صلى الله عليه وسلم ( كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انالك هذا قالت هو من عند الله ) الآية

فصل ومن المتشابه لفظه اين وهي كلمة يستفهم بها عن الحيز المكاني وقد ورد بها الكتاب في قوله ( وهو معكم اينما كنتم ) والسنة في قوله صلى الله عليه وسلم للجارية ( اين الله فتالت في السماء ) ومن المعلوم ان التحيز لى الله محال واما اين في الآية لانها اطلقت لافادة معية الله تعال للمخاطبة في الأين اللزوم لهم لاله فهو مع كل صاحب اين بلا اين واما اطلاقه في حديث الجارية فنقد تقدم الكلام عليه في فصل الكلام على الجهة والاستملاء

فصل ومن المتشابه صفة الضحك والرضى وقد ورد الرضى والغضب في الكتاب والسنة وورد الضحك في السنة في احاديث وقد اختلف اهل التحقيق في معنى الرضى والشاهد وهل هو حال او مقام واياما كان فهو من قولهم الكيف الحادثة وهو يستحيل على الله تعالى والضحك في الشاهد معروف وامتناعه على الله بالنسبة لذاته

ضروري فلذلك كان المتشابه ورجوعه للمحاكم بما قدمناه في الصورة فيكون ظهور الضحك في الصورة التي تحلي فيها ربنا على عبده ولا اشتباه في ذلك لان اصل الضحك عند الحكماء ينشأ من اقبال القلب الى جية الصدر فيفعل لاقباله الى هذه الكيفية التي تسمى ضحكاً والفاعل في الحقيقة لذلك كله هو الله تعالى فلا اشكال اي انه اذا اقبل بروح توحيده على عبده في الصورة المشككة من علمه انه يظهر على تلك الصورة من علمه باقباله هيئة الضحك المناسبة للضحك الماعتد باقبال القلب وينسب ذلك الضحك اليه كذسبة الصورة والوجه اليه بالمعنى الذي قدمناه ويتضاعف بذلك نعيم الروية للمؤمن وافاضة جواريزو نعمة الكرم عليه وقد ثبت انه يلقي المؤمن اذا مات بروح وريحان ورب غير غضبان فانظر كيف مظبر الربوية وان العبد يلقي الروح بتلاقي ربه ولولا ذلك لا شكيل على قواعد العربية لانه عطف الروح وشرك بينهما في تعدي الفعل اليه بالياء على وجه تعديه للمفعول وذلك ينافي كون الرب فاعلا للقائه واذا انت خرجته على المعنى الذي ذكرناه لم يبق فيه اشكال والله تعالى اعلم

انتهى



ان احسن المجاميع الادبية في هذا الان كتاب متاجاة الحبيب في الغزل  
والنسيب وكتاب ابداع ما نظم في الاخلاق والحكم وكتاب بدائع الشعر في  
الحماسة والفخر ولما كان اسم كل منهم يدل على ما تضمنه مسماه في بابه دلالة  
العنوان على كتابه اغنتنا الاشارة عن تاويل العبارة فمن اراد فليطلبهم او  
بعضهم من مكتبة الاقتصاد في بيروت

